قصيدة
يا دارمية بالعلياء فالسند
للنابغة الذبياني
دراسة بلاغية تحليلية

إعداد

محمد محمد الطاهر محمد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ

المقدمة

(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)[1]

آمين

والصلاة والسلام علي سيدنا محمد بن عبد الله أفصح الناس لسانا، وأعلاهم بيانا، وأشرفهم منطقا، وأبلغهم حديثا، وعلي آله وصحبه أجمعين، وعلي جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين . وبعد :-

فإن الشعر العربي له من الأهمية الشئ العظيم، فهو يعكس ما في الحياة من خير وشر، والشاعر دائما مرآة عصره، يتأثر بما يحيط به من ظروف اجتماعية وبيئية وأخلاقية ... وغيرها، فيأتي شعره معبرّا عن ذلك أيَّما تعبير ، وبقدر إجادته في ذلك يكون موقعه من الشعراء .

والشعر العربي مرّ بظروف مختلفة علي مرّ العصور، تستطيع أن تلمس في ثناياه كل ما أحاط بكل عصر من ظروف مختلفة، وعوامل أدت إلي قوته أو ضعفه، وجعلت لكل عصر سمات شعرية تميزه عن غيره .

ولذا فإن الشعر العربي يُعَد تراثا قيّما، ومرجعا للعصور علي مرّ التاريخ، تلمس فيه سمات كل عصر، ومميزات كل شاعر، وهذه المميزات، وتلك السمات تختلف من عصر إلي آخر، ومن شاعر لشاعر، كما أنها تختلف من غرض إلي غرض، علما بأن الشعر العربي قد ساير الحياة العربية ، وكان اللسان الناطق لها.

---

(١) سورة الفاتحة.

ويعد الشعر الجاهلي وثيق الصلة بحياة العرب ما جلّ منها وما صغر، فقد صور ما في هذه الحياة من صفاء وكدر، وخير وشر، فالشاعر الجاهلي قد صور الحياة التي يعيشها أدق تصوير، لأنه لا يستطيع أن ينسلخ عن بيئته، فجاء الشعر الجاهلي يصور تلك الحياة أحسن تصوير، فالشاعر فرد من أفراد المجتمع، يتأثر بما يحيط به، فيأتي شعره مرآة لكل ذلك.

والشعر الجاهلي يتميز بالفصاحة الفطرية، والبلاغة العفوية، والألفاظ العربية الأصيلة، فاللغة تنطق بالسجية، والحياة الجاهلية بقسوتها وطبيعتها مسيطرة علي المعاني والأفكار .

وكان أكثر ما عرفناه عن العصر الجاهلي مصدره الشعر الجاهلي، وما جاء فيه من تصوير للحياة الجاهلية بكل ما فيها تصويراً دقيقاً، من حروب وأحلاف وأعلام وسادة وحكام ومعتقدات ... الخ، هذا بالإضافة إلى أن الشعر يتأثر في شكله ومحتواه وتصويره بالوجدان والانفعال والرؤية المتميزة للشاعر.

وتعد هذه القصيدة – محل تلك الدراسة – من أروع القصائد في الشعر الجاهلي، وقائلها " النابغة الذبياني " يعد علما من أعلام الشعراء، له منزلة سامية في الشعر العربي عامة، والشعر الجاهلي خاصة، وهو من شعراء الطبقة الأولي، وكانت له منزلة كبيرة في سوق عكاظ، وقد أشاد به النقاد القدماء والمحدثين علي حد سواء.

وشعر النابغة شعر جيد لا تجد فيه سقطا ولا حشواً ، ويمتاز شعره بجودة المقاطع، وحسن المطالع، وتجد كلامه فصيحا يمتاز بالديباجة والفخامة .

والقصيدة التي معنا قصيدة متكاملة، ذات خصائص واضحة المعالم، وتتميز بالبعد عن التكلف، ودقة التعبير، وحسن الديباجة، وتلمس فيها براعة الاستهلال، وحسن التخلص من غرض إلي آخر .

والشاعر قدم لنا تجارب حية نابضة تحمل أحداثا صاغها الشاعر بإبداعه الفني، وصورها حسب رؤيته لها، فجاء تصويره بارعاً لا انفصال فيه بين الشعر والحياة، ولا تضارب فيه بين الحقيقة والواقع .

كل ذلك وغيره كان دافعا لي في دراسة هذه القصيدة التي تعد من أروع ما قيل في الشعر الجاهلي، وهو بحث جديد لم يتناوله أحد استقلالاً – حسب علمي – من قبل .

نعم: توجد شروح لتلك القصيدة، لكن تناولها من الناحية البلاغية بصورة مستقلة في دراسة تحليلية لم يتناوله أحد – حسب علمي – من قبل.

وهذا البحث يشتمل علي مقدمة وتمهيد ، وستة فصول، وخاتمة، ثم مراجع البحث والفهرس .

ففي المقدمة : تحدثت عن تأثر الشعر الجاهلي بالظروف المحيطة به من حروب وإغارة وكرم وأخلاق وصلح، وذكرت أهم الدوافع وراء هذا البحث .

وفي التمهيد : جاء الحديث عن قائل القصيدة ومنزلته ومكانته في الشعر، والحديث عن القصيدة من حيث الغرض،والمضمون،والسمات ؛ والأفكار الرئيسة فيها .

وفي المبحث الأول : تناولت مقدمة القصيدة، من حيث ذكر الطلل، والبدء بالنسيب، وقمت بشرح تفصيلي لمقدمة القصيدة .

وفي المبحث الثاني : تحدثت عن وصف الرحلة، وقمت بتحليل الأبيات الدالة علي ذلك، وما عاناه النابغة وانعكس في تعبيره وتصويره لتلك الرحلة.

وفي المبحث الثالث : تناولت مدح النابغة للنعمان، وذكر صفاته التي يتميز بها، وتحليل لتلك الأبيات .

وفي المبحث الرابع : جاء الحديث عن رجاء النعمان، ومناشدة النابغة الذبياني له، وتحليل بلاغي للأبيات المشتملة علي ذلك .

وفي المبحث الخامس : كان الاعتذار، وما حواه من معان عظيمة،توحي بالظلم الذي تعرض له النابغة، وقمت بتحليل بلاغي لتلك الأبيات .

وفي المبحث السادس : كان في شعور النابغة بالخوف من بطش النعمان، وبالغ في هذا الشعور طمعا في عفو النعمان عنه، وقمت بتحليل هذه الأبيات .

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

وأخيراً مراجع البحث والفهرس .

والله أسأل أن يجعل لي القبول، وأن يكتب سبحانه لهذا البحث النجاح والتوفيق والسداد إنه سبحانه سميع الدعاء .

التمهيد

هذه القصيدة للنابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية، ويقال : زياد بن عمرو ابن معاوية بن خباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان(١) .

ويلقب بالنابغة لنبوغه في الشعر علي أرجح الأقوال .

وهناك نوابغ كثيرون منهم النابغة الجعدي، والنابغة التغلبي، والنابغة الشيباني .

وكان النابغة من سادات قومه، ويؤيد ذلك ما كان للشعراء من منزلة في الجاهلية، وللدور الذي لعبه النابغة في وساطته لقومه عند الغساسنة، ومنعهم من حربهم، كما أن مكانته عند الملوك شاهدة علي ذلك .

وكان النابغة علي اتصال بملوك الحيرة، ومنهم المنذر بن ماء السماء، وعمرو بن هند .

ويعد النابغة من الشعراء المفلقين الذين تركوا لنا أثراً جما، وكشف لنا عن جانب حي من شاعريته وشخصيته .

فقد مثل دور الشاعر السياسي في حرب " داحس والغبراء "، كما أن دوره مع حكام الغساسنة لا ينكر في الوساطة لقومه عندهم، وقد اتصل النابغة بالنعمان بن المنذر؛ لأن النعمان كان محبا للشعر وكان بلاط ملكه يمتلئ بالشعراء، ومن أشهرهم النابغة وقد نال النابغة منزلة كبيرة عند النعمان بن

---

(١) ينظر ديوان النابغة الذبياني ص٤، والأغاني للأصفهاني ص١٠ .

المنذر، وقرّبه إليه، وأجزل له العطايا والهبات، يقول أبو الفرج الأصفهاني(١): "إن النابغة كان يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب" .

ويعد النابغة من شعراء الطبقة الأولي، وكانت له منزلة كبيرة في سوق عكاظ، وكانت له قبة حمراء تضرب في سوق عكاظ يأتي إليها الشعراء فيعرضون شعرهم عليه، فيحكم بينهم .

" والنابغة الذبياني شاعر وناقد في آن واحد، فقد كانت له خيمة تنصبها قريش وملوك الغساسنة في مكة، وفيها يجري النقد لأهم مظاهر الثقافة الجمالية، وكان هو الحكم فيها، وكانت له مجالسه في مدينة يثرب، فبفضل أدباء يثرب استقام شعر النابغة.

قال النابغة: "دخلت يثرب وفي شعري عاهة، وخرجت منها وأنا أشعر الناس" (٢).

ويعد شعره جيداً ليس فيه تكلف، وكان أحسن الشعراء ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا.

وشعر النابغة لا تجد فيه شططاً ولا حشواً، ويمتاز شعره بجودة المقاطع، وحسن المطالع، وكلام النابغة فصيحاً يمتاز شعره بالديباجة والفخامة .

"وقد فضله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن غيره من الشعراء.

وشعر النابغة يتميز أيضاً بروعة التشبيه، والإيقاع الموسيقي الخلاب، وبراعة التصوير، وقد قيل فيه " أشعر الناس النابغة إذا رهب "(١) .

---

(١) ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ص١١ .

(٢) ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفاني ص ١١، وكذلك المعلقات العشر للشنقيطي، ومقدمة ديوان النابغة .

وقد قال عنه بديع الزمن الهمزاني : " النابغة لا يرمي إلا صائباً "[٢] .

ويتميز شعر النابغة بالبراعة وحسن اختيار الألفاظ، وتنوع الأفكار والمعاني، والصورة الفنية الجميلة.

والنابغة أحسن الجاهليين ديباجة، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتًا، وأوضحهم كلامًا، وأقلهم سقطًا وحشوًا.

وقد قيل: "كفاك من الشعراء أربعة زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وجرير إذا غضب"، وقيل لكثير أو لنصيب من أشعر العرب فقال: "امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب" [٣].

وقد اشتهر النابغة برجاحة فكره، وعنده من الدربة والمراس ما جعله يتفوق علي غيره من الشعراء، وكان يجيد انتقاء الألفاظ، ووضعها في مواضعها الصحيحة.

" وتلمس تأثر النابغة بالظروف الزمانية والمكانية مما يضفي علي شعره نوعا من الخلابة، وطابعًا من الواقعية قلما تجده عند غيره من الشعراء .

والنابغة الذبياني من شعراء العصر الجاهلي، وهو شاعر من الطبقة الأولي، وموطنه الحجاز.

وشعر النابغة يمثل مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي، وقد اتخذ من الشعر وسيلة للتكسب، وهو شاعر بلاط يجيد التقرب إلي الملوك، ويلحظ أن

---

(١) السابق ص١٢ ، والعمدة لابن رشيق ٥٩/١.

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص٣١٧

(٣) ينظر العمدة لابن رشيق ٦٠/١.

شعره ليس بطوليا، ولا يعبر عن بطولة، بل إن معظم شعره كان مدحاً للملوك طمعا في الهبات والعطايا " [١].

والنابغة الذبياني شاعر وناقد يحكم بين الشعراء من حيث الجودة وقد كان لمدينة "يثرب" أثر كبير في حسن شعر النابغة وتفوقه، وعيوب شعره : الإقواء، والإسناد، والأكفاء[٢]**، توفي النابغة سنة ٦٠٥ م، ولم يدرك الإسلام.**

---

(١) ينظر النابغة الذبياني د/ عبد الرازق الدقاق ص٥٢ .

(٢) الإقواء : هو اختلاف حركة الروي، وهو من عيوب القافية، والأكفاء : أن يخالف الشاعر في القوافي، كأن يجعل بعضها لاما وبعضها ميماً أو نونا .

مناسبة القصيدة :-

هذه القصيدة في الاعتذار، والاعتذار شعر رقيق لأنه اعتراف بالخطأ، ورغم أن العرب بما يتسمون به من تعصب وصلابة، إلا أننا نجد كثيرًا من الشعراء قد أجادوا في هذا الغرض الشعري ويأتي النابغة في مقدمه هؤلاء الشعراء، بل هو رأس الشعراء الذين لهم باع وصولات وجولات في هذا الغرض الشعري .

" ومناسبة القصيدة : أن " المتجردة " زوج النعمان بن المنذر، دخلت مجلس النعمان فسقط غطاء رأسها، فوصفها النابغة،وكانت المتجردة علي قدر من الجمال، فقال النابغة قصيدة رائعة جاء فيها :

أمن آل مية رائح أو مغتد

عجلان ذا زاد وغير مزود

وبعد أن أكمل النابغة هذه القصيدة، وشي ضده " المنخل اليشكري " إلي النعمان، وقال : والله ما قالها إلا مجرب، فأغضب ذلك النعمان، وأهدر دم النابغة، فهرب النابغة إلي الغساسنة، وأخذ بعد ذلك يتودد إلي النعمان ويعتذر إليه، ومن هنا نشأ هذا الفن الشعري " الاعتذار " علي يد هذا النابغة، ولذا يعد النابغة رائداً من رواد هذا الفن والغرض الشعري بل هو من أهم رواده "[١] .

وهذه القصيدة من أشهر قصائده في الاعتذار، ويعد الاعتذار سمة من سمات الإنسان القوي بأخلاقه وآدابه، وهو ليس ضعفاً أو خضوعاً ، ولا يعد عيباً ولا نقصاً .

---

(١) ينظر الأغاني ودراسات في الأدب العربي على مر العصور د/ عمر الطيب ص٧٧.

وقد استطاع النابغة بمنطقه الفذ، ولغته السامية، وشعره الرقيق أن يؤثر في النعمان بن المنذر، فعفي عنه، وأعاده إلي بلاط الملك ثانية .

ومن الشعراء الذين برعوا في فن الاعتذار بعد النابغة أبو الطيب المتنبي، وشعره في سيف الدولة الحمداني ناطق وشاهد علي نبوغه في هذا الفن، وكذلك يأتي أبو تمام وأبو نواس من الشعراء المجيدين في هذا اللون الشعري .

والقصيدة من بحر " البسيط ".

وروي القصيدة " الدال " .

والغرضُ: "الاعتذارُ" وتعدُّ داليةُ النابغة الذبياني قصيدة متكاملة، ذات خصائص بينة ، واضحة المعالم، وتتميز بالبعد عن التكلف، ودقة التعبير، وحسن الديباجة،وتلمس فيها براعة الاستهلال، وحسن التخلص من غرض إلي آخر .

وتشعر بالانسجام الداخلي في بنية القصيدة، وتجد الشاعر يرسم لوحة فنية رائعة، حيث وقوفه علي الأطلال، وتذكر حبه القديم الذي عفا عليه الزمن .

وينتقل الشاعر إلي وصف مناظر الصيد مستخدماً في كل ذلك صوراً واقعية، ثم يتحدث عن كرم الملك، ويشبه صواب رؤية الملك، وحكمته بدقه نظر زرقاء اليمامة .

وهناك اختلاف في عدد أبيات القصيدة، فقيل ثمانية وأربعين بيتا، وقيل تسعة وأربعين، وقيل خمسين بيتا، وهو ما اعتمدته في تناول هذه القصيدة بالشرح والتحليل .

وقد عد التبريزي هذه القصيدة من المعلقات السبع [١]، ولكن " الزوزني " لم يعدها من المعلقات السبع، أما " الخطابي " فقد ذكر في كتابه " شرح المعلقات السبع " قصيدة أخري للنابغة عدها من المعلقات وهي قصيدة:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار

(١) ينظر شرح المعلقات السبع للتبريزي ص ٣٣٠.

وبعد :-

فإن هذه القصيدة تعد قمة في البلاغة، وتتميز ببراعة التصوير، وفخامة الألفاظ، ودقة التعبير، وحسن الاستهلال، وسهولة التخلص، وقد حوت صوراً عديدة من صور البيان، الأمر الذي جعل لها مكانة عظمي بين قصائد الاعتذار في الشعر العربي، وهو ما يكشف عنه التحليل البلاغي للقصيدة .

الأفكار الرئيسة في القصيدة

اشتملت القصيدة من حيث الأفكار على معانٍ عديدة :-

١- البدء بالنسيب والوقوف علي الأطلال، وهو ما اشتملت عليه الأبيات من البيت الأول، إلي نهاية البيت السادس، وفي هذا الغرض يقف الشاعر على ديار محبوبته ، ويتأمل ما بقي من آثار الديار، باكيًا على ما آل إليه حال الديار بعد فقدان الأحبة .

٢- وصف الرحلة، وتشتمل عليه أبيات القصيدة، من البيت السابع إلي نهاية البيت التاسع عشر، والشاعر هنا يصف ما كان في هذه الرحلة من مشقة ومعاناة، وما شاهده من معارك بين الثور والكلاب المدربة ، وتجد فيه براعة التصوير كأن الشاعر يرسم لوحة فنية رائعة .

٣- مدح النعمان وذكر صفاته : ويبدأ هذا الغرض من البيت العشرين إلي نهاية البيت الحادي والثلاثين، وتلمس الصفات العظيمة التي كساها النابغة الذبياني وألبسها للنعمان بن المنذر .

٤- في رجاء النعمان، ويبدأ هذا الغرض من البيت الثاني والثلاثين، وحتي نهاية البيت السادس والثلاثين، وفي هذه الفكرة يرجو النابغة النعمان بأن يحكم حكا صائبا في القضية، ويكون له من دقة التأمل، وكشف الوشاية ما يجعله يقبل النابغة، وهو بذلك يمهد للاعتذار.

٥- الاعتذار، وفي هذه الأبيات التي اشتملت علي الفكرة الرئيسة، والتي سُبقت بتمهيد لها، تجد النابغة قد أجاد في الاعتذار أيما إجادة، وهو ما اشتملت عليه الأبيات من بداية البيت السابع والثلاثين وحتي نهاية البيت الواحد والأربعين من القصيدة .

٦- **شعوره بالخوف من بطش النعمان، وهو نهاية القصيدة، حيث تشتمل عليه الأبيات من بداية البيت الثاني والأربعين، وحتى نهاية القصيدة، وقد شبه النابغة النعمان بالأسد، وأبدي خوفه من بطشه، وقد أجاد في ذلك، وهو ما سيكشف عنه تحليل أبيات القصيدة.**

قصيدة : يا دارمية بالعلياء فالسند

١ يَـا دَارَمِيَّـةَ بِالْعَلْيَـاءِ فَالسَّـنَدِ أَقْـوَتْ وَطَـالَ عَلَيْهَـا سَـالِفُ الأَبَـدِ

٢ وَقَفْـتُ فِيهَـا أُصَـيْلاَنَاً أُسَـائِلُهَا عَيَّـتْ جَوَابـاً وَمَـا بِـالرَّبْعِ مِـنْ أَحَـدِ

٣ إِلاَّ الْأَوَارِيَّ لأْيـاً مَـا أُبَيِّنُهَـا وَالنُّؤْيَ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ

٤ رَدَّتْ عَلَيْـهِ أَقَاصِـيهِ وَلَبَّـدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ

٥ خَلَّـتْ سَـبِيلَ أَتِـيٍّ كَـانَ يَحْبِسُـهُ وَرَفَّعَتْـهُ إِلَـى السِّـجْفَيْنِ فَالنَّضَـدِ

٦ أَمْسَتْ خَـلاَءً وَأَمْسَـى أَهْلُهَـا احْتَمَلُـوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَـى لُبَـدِ

٧ فَعَـدِّ عَمَّـا تَـرَى إِذْلاَ ارْتِجَـاعَ لَـهُ وَارْمِ الْقُتُـودَ عَلَـى عَيْرَانَـةٍ أُجُـدِ

٨ مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد

٩ كَأَنَّ رَحْلِي وَقَـدْ زَالَ النَّهَـارُ بِنَـا يَـوْمَ الْجَلِيـلِ عَلَـى مُسْـتَأْنِسٍ وَحَـدِ

١٠ مِنْ وَحْشِ وَجْـرَةَ مُوشِيٍّ أَكَارِعُـهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرَدِ

١١ أَسْرَتْ عَلَيْـهِ مِنْ الْجَـوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِـي الشَّـمَالُ عَلَيْـهِ جَامِـدَ الْبَـرَدِ

١٢ فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلاَّبٍ فَبَـاَتَ لَـهُ طَـوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَـوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

١٣ فَبَـاتَّهُنَّ عَلَيْـهِ وَاسْـتَمَرَّ بِـهِ صُمْعُ الْكُعُـوبِ بَرِيئَـاتٌ مِـنَ الْجَـرَدِ

١٤ وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْـهُ حَيْـثُ يُوزِعُـهُ طَعْنَ الْمُعَـارِكِ عِنْـدَ الْمُحْجَـرِ النَّجُـدِ

١٥ شَـكَّ الْفَرِيصَـةَ بِالْمِـدْرَي فَأَنْفَـذَهَا طَعْنَ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْـفِي مِـنَ الْعَضَـدِ

١٦ كَأَنَّـهُ خَـارِجٌ مِـنْ جَنْـبِ صَـفْحَتِهِ سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عِنْـدَ مُفْتَـأَدِ

١٧ فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضـاً فِي حَالِكِ اللَّـوْنِ صَدْقٍ غَيْـرَ ذِي أَوَدِ

١٨ لَمـاَّ رَأَي وَاشِـقٌ إِقْعَـاصَ صَـاحِبِهِ وَلاَ سَـبِيلَ إِلَـيَّ عَقْـلٍ وَلاَ قَـوَدِ

١٩ قَالَتْ لَـهُ الـنَّفْسُ إِنِّـي لاَ أَرَي طَمَعـاً وَإِنَّ مَـوْلاَكَ لَـمْ يَسْـلَمْ وَلَـمْ يَصِـدِ

٢٠ فَتِلْـكَ تُبْلِغُنِـي النُّعْمَـانَ إِنَّ لَـهُ فَضْلاً عَـنِ النَّـاسِ فِي الأَدْنَى وَفِي البُعُدِ

٢١ وَلاَ أَرَي فَاعِلاً فِي النّـاسِ يُشْـبِهُهُ وَمَـا أُحَاشِـي مِـنَ الأَقْـوَامِ مِـنْ أَحَـدِ

٢٢ إِلاَّ سُـلَيْمَانَ إِذْ قَـالَ الإِلَـهُ لَـهُ قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَـنِ الفَنَـدِ

٢٣ وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّي قد أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصَّفَّاحِ والعُمُدِ
٢٤ فَمَنْ أطَاعَكَ فانْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ كما أطَاعَكَ وادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ
٢٥ ومن عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ
٢٦ إلاَّ لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنْتَ سَابِقُهُ سَبْقَ الجَوَادِ إذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأمَدِ
٢٧ أعْطَى لِفَارِهَةٍ حُلْوٌ تَوَابِعُهَا من المَوَاهِبِ لا تُعْطَى عَلَى نَكَدِ
٢٨ الوَاهِبُ المِئَةَ المعْكَاةَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضَحُ فِي أدْبَارِهَا اللُّبَدِ
٢٩ والأدْمُ قد خُيِّسَتْ فَتْلاً مَرَافِقُهَا مَشْدُودَةً بِرِحَالِ الحِيرَةِ الجُدُدِ
٣٠ والرَّاكِضَاتِ ذُيُولَ الرَّيْطِ فَاتِقُهَا بَرْدُ الهَوَاجِرِ كالغِزْلانِ بِالجَرَدِ
٣١ والخَيْلُ تَمْزَعُ غَرْبًا فِي أعِنَّتِهَا كالطَّيْرِ تَنْجُو مِن الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ
٣٢ احْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إذْ نَظَرَتْ إلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وارِدِ الثَّمَدِ
٣٣ تَحُفُّهُ جَانِبًا نِيقٌ وتُتْبِعُهُ مِثْلَ الزُجَاجَةِ لَمْ تَكْحُلْ مِنَ الرَّمَدِ
٣٤ قَالَتْ ألاَ لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا إلَى حَمَامَتِنَا ونِصْفَهُ فَقَدِ
٣٥ فَحَسَّبُوهُ فَأَلْفَوهُ كَمَا حَسَبَتْ تِسْعًا وتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ ولَمْ تَزِدِ
٣٦ فَكَمَّلَتْ مائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وأسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ العَدَدِ
٣٧ فَلاَ لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحْتَ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
٣٨ وَالْمُؤْمِنِ العَائِذَاتِ الطَّيْرَ تَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعَدِ
٣٩ مَا قُلْتُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أُتِيتَ بِهِ إذًا فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ يَدِي
٤٠ إلاَّ مَقَالَةَ أقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتَهُمْ قَرْعًا عَلَى الكَبِدِ
٤١ إذًا فَعَاقِبْنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالفَنَدِ
٤٢ أُنْبِئْتُ أنَّ أبَا قَابُوسَ أوْعَدَنِي وَلاَ قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ
٤٣ مَهْلاً فِدَاءً لَكَ الأقْوَامُ كُلُّهُمُ وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ
٤٤ لاَ تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لاَ كِفَاءَ لَهُ وَإنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بالرَّفَدِ
٤٥ فَمَا الْفُرَاتُ إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
٤٦ يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ

٤٧ يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلاَّحُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْزَرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ والنَّجَدِ

٤٨ يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ وَلاَ يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

٤٩ هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعَرِّضْ أُبِيتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ

٥٠ هَا إِنَّ ذِي عِذْرَةٌ إِلاَّ تَكُنْ نَفَعَتْ فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ

المبحث الأول

البدء بالنسيب والوقوف على الأطلال

١	يَـا دَارَ رَمَيَّـةَ بِالْعَلْيَـاءِ فَالسَّـنَدِ	أَقْـوَتْ وَطَـالَ عَلَيْهَـا سَـالِفُ الأَبَـدِ
٢	وَقَفْـتُ فِيهَـا أُصَـيْلاَناً أُسَـائِلُهَا	عَيَّـتْ جَوَاباً وَمَا بِـالرَّبْعَ مِـنْ أَحَـدِ
٣	إِلاَّ الأَوَارِيَّ لأْيـاً مَـا أُبَيِّنُهَـا	وَالنُّؤْيَ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ
٤	رَدَّتْ عَلَيْـهِ أَقَاصِـيهِ وَلَبَّـدَهُ	ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ
٥	خَلَّـتْ سَـبِيلَ أَتِـيٍّ كَـانَ يَحْبِسُـهُ	وَرَفَّعَتْـهُ إِلَـى السِّـجْفَيْنِ فَالنَّضَـدِ
٦	أَمْسَتْ خَـلاَءً وَأَمْسَـى أَهْلُهَـا احْتَمَلُـوا	أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

لقد استهل النابغة هذه القصيدة بهذا البيت:-

١ -	يَـا دَارَ رَمَيَّـةَ بِالْعَلْيَـاءِ فَالسَّـنَدِ	أَقْـوَتْ وَطَـالَ عَلَيْهَـا سَـالِفُ الأَبَـدِ

وهذا البيت يتميز بدقة التعبير، وحسن الديباجة والرونق، وهو من الإستهلالات الجيدة، وتشعر في هذا البيت بالنغم الحزين، المثير للعواطف، المهيج للأحاسيس، حيث تلمس فيه الشعور المرهف، وألم الفراق، ومرارة البعد.

يقول ابن رشيق: "وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلي اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج لما بعده"(١)

(١) العمدة لابن رشيق ج١ ص٥٠.

فالشاعر العربي في العصر الجاهلي خصوصاً اعتاد على تشخيص الطلل ومناجاته، فيدفعه شوقه ووجدانه وحنينه إلي سؤال الأثافي والآثار الباقية من الديار، وهو إذ يوجه حديثه وتحيته، وسؤاله للطلل، فإنه يري فيه الماضي البعيد، والذكريات الجميلة، ويبث في هذا الجماد المشاعر والأحاسيس.

"فالمقدمة كأنها رمز لما أراده الشاعر، وانعكاس لنفسيته وفلسفته، وكثير من النقاد يرى أن الطلل بمفرداته رموز إلى ما وراءها، فالشاعر يسمو إلى مستوى الرمز الذي يندمج فيما يرمز إليه" (١).

وقد اختلفت آراء النقاد في مغزى وهدف الوقوف على الطلل، وابتداء القصائد به، ومن ذلك ما ذكره بعض النقاد من "أن الوقوف على الأطلال علاقة طبيعية عند شعراء المرحلة الفنية الأولى من حياة الشعر الجاهلي حيث يعبر فيها الشاعر عن ذاته وغرضه الشخصي قبل أن يصل إلى القسم الغيري".(٢)

وبعضهم يري أن الوقوف على الأطلال علاقة تمهيدية، ومقدمة للغرض المقصود، وبعضهم يري أن هناك تجانساً بين تلك المقدمة الطللية، وما تثيره من حزن وألم، ولوعة الفراق، وبين الطابع المأساوي الذي كان يهيمن على الوجدان العربي بشكل عام.

---

(١) ينظر أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، د/ سعيد حناوي، ص٢٤٣.

(٢) دراسة في الشعر الجاهلي، د/ يوسف خليف، ص ١١٨.

"ورنة البكاء السادية في الطللية تدغدغ كوامن اللاشعور في ذلك الوجدان، فتبعثها وتثيرها، وتوقظ ما فيها من حزن عميق مكبوت".(١)

والمشهور من تلك الآراء أن المقدمة الطللية تعد تمهيداً ومقدمة للغرض الأصلي المنشود من القصيدة، وهو ما قال به جمع كبير من النقاد، يقول الزوزني: "وما أتي فيها من غزل فجرى على المألوف، وليس هو موضوع القصيدة".(٢)

"والشاعر يلون الأطلال بلون القصيدة، وأنها تتصل بالطلل اتصالاً وثيقًا من خلال خيط خفي، وهذا الخيط يشد أجزاء القصيدة بعضها إلى بعض، إن تجربة الطلل لم تكن مستقلة عن القصيدة، لقد كان هناك خيط خفي يشد أجزاء القصيدة بعضها إلى بعض، وهذا الخيط قد يختلف من قصيدة لأخرى، ولكنه موجود، وإن موضوع القصيدة هو الذي يلون الطلل بلونه، فنقول: إن الهرب من الواقع والذات إلى الماضي من خلال الطلل يتلون تبعًا للحالة التي يحياها الشاعر، والتي يريد من خلالها أن يصبغ قصيدته بلونها"(٣).

ويلحظ أن قصيدة النابغة قد بدأت بحرف النداء "يا"، وهذا الحرف مختص بالبعيد، وهذا يثير سؤالاً، وهو: ألم يكن الأجدر نداؤها بالقريب، والجواب: أن النابغة قد استخدم حرف النداء "يا"، لأن المد الموجود بهذا الحرف يناسب حالته النفسية الحزينة، وهو ما لا تقوم به الهمزة الموضوعة للقريب، كما لا يخفي أيضاً أن النداء بصيغة البعيد قد يكون تعظيماً له وإجلالا

(١) في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د/ أحمد محمود خليل ص ١٤٨.
(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٥٦.
(٣) الغربة في الشعر الجاهلي، د/ عبد الرازق خشروم ص٢٤٥.

وإكباراً، والنداء هنا للتشويق، وفي نداء الدار استعارة مكنية، حيث شبهها بعاقل يُنادى، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه.

و"مية": اسم امرأة، والعلياء: مكان مرتفع من الأرض وفي مقاييس اللغة: "العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا أصل واحد، يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء، وقال الخليل: العلياء: رأس كل جبل أو شرف".(١)

والسند: سند الوادي وهو ارتفاعه، أقوت: خلت من أهلها، و"السالف": الماضي، والأبد: الدهر.

وقوله: "دار مية" دار: مضاف، و"مية": مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف.

وتتوالى موسيقي البيت الدالة على الحزن، والإيقاع الحزين فتجد قوله: "بالعلياء"، وما يشعر به المد بالألف، واللفظ نفسه يوحي بالعظمة، والمكانة العالية، وهو ما جعل بعض النقاد يري أنه يرمز إلي النعمان، وما كان له من شأن عظيم، وهو ما يرشدنا إليه لفظ "السند" حيث كان النعمان سنداً قوياً شامخاً للنابغة.

ولما كان المكانان "العلياء، والسند" بجوار بعضهما البعض استخدم حرف العطف "الفاء".

وتأمل قوله: "أقوت"، والفاعل مستتر تقديره "هي"، وما ينطوي تحت هذا التعبير من ألم وحزن واعتراف من النابغة بخراب الديار، وخلوها من الأحبة.

---

(١) ينظر مقاييس اللغة مادة علو.

وإذا تأملنا قوله: "وطال عليها سالف الأبد" نجد أن النابغة يرشدنا إلي أن فترة ابتعاده عن هذه الديار فترة غير وجيزة، وهو ما جعل شوقه وحنينه إليها ليس بالأمر الهين، ولذا فإن نداءه لهذه الديار كان للتشويق والحنين إليها.

وفي قوله: "وطال عليها سالف الأبد"، تلمس تحسر الشاعر لطول الزمن، وتباعد الأيام، وما آل إليه حاله بعد فراق الأحبة.

فالشاعر يستعيد ذكرياته مع محبوبته وديارها، ويتألم لما آل إليه حال الديار، فنجدها في مكانها، وقد تبدل حالها، وخلت من ساكنيها، وطال عليها الزمن، وترك أثره عليها، فهو يبكي الديار الخالية عبر نغم حزين مؤثر فأجاد في ذلك أيما إجادة.

نعم: "إن المقدمة الطللية بمثابة شرارة يشعلها الشاعر في مقدمة القصيدة، ليثير أمامه شريط الذكريات الطويل الذي يستلهم من وحيه بقية ذكرياته وموضوعاته، حيث تتداعي معانيها أمامه".(١)

ونجد أن الشاعر قد أعطي للزمن أهمية كبيرة بارزة، حيث كرر الألفاظ الزمنية في معظم الأبيات، ليؤكد فاعليته في المكان الذي قد يعكس ما في خاطر الشاعر، فتجد ألفاظاً في القصيدة لها دلالة زمانية يقصد الشاعر إظهارها، فمن التعبيرات "سالف الأبد"، "أصيلانا"، والفعل "أمس".

"وأما المكان فرأي أنه يظهر بعلاقة مزدوجة الأبعاد، وهذا الازدواج قد يكون محدد الدلالة، فالمكان أثر للصراعات الإنسانية من ناحية، وللطبيعة من

---

(١) دراسات في الأدب العربي على مر العصور د/ عمر الطيب الساسي، ص٢٢.

ناحية أخرى، والتركيز على المكان يخلق مدى عظيماً، وتركيزاً للتأمل، وتكريساً للانعكاس".[١]

---

٢ - وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلاَنَاً أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعَ مِنْ أَحَدِ

أصيلان: الأصل العشي، عّيت جواباً: لم تجب، الربع: المنزل في الربيع خاصة وفي الصحاح: الأصيل: الوقت بعد العصر إلي المغرب، وجمعه أصل وآصال وأصائل، ويجمع أيضاً على أصلان، ثم صغروا الجمع فقالوا: "أصيلان"، ثم أبدلوا من النون لا ما فقالوا: "أصيلال".[٢]

وفي لسان العرب: "لقيته أصيلالاً وأصيلانا: إذا لقيته بالعشي".[٣]

الشاعر يقول: إنه وقف بالدار عشيا، وقوله: "عيت": بمعني لم تنطق، ومنه عيي: لا يفصح، و"جواباً": منصوب على المصدر، والمعني: عيت أن تجيب، و"من" في قوله: "من أحد" زائدة للتوكيد.

ولما كان وقت الغروب له أثر في النفوس، والأحاسيس المرهفة، وخاصة عند الشعراء، اختاره النابغة ليقف فيه على ديار محبوبته، وقوله: "أسائلها": أي أسائلها لتجيب، ولكن الدار "عيت" فلم تجبه.

وتأمل الاستعارة المكنية في قوله: "أسائلها"، حيث شبه الدار بإنسان تصح مخاطبته، ويتأتّى منه الجواب، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بلازم من لوازمه وهو المساءلة.

---

(١) الكلمات والأشياء أ/ حسن البناء ص ١٤٠.

(٢) ينظر الصحاح مادة أصل.

(٣) لسان العرب مادة أصل.

فهو ينتظر الإجابة من الدار، وهذه الصورة البيانية تلمس فيها "التشخيص"، وهو من أسرار جمالها، حيث نزل غير العاقل منزلة العاقل.

يقول الإمام عبد القاهر عن الاستعارة: "هى أمد ميدانًا وأشد افتنانًا وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا وإحسانًا، وأوسع سعة وأبعد غورًا، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، فإنك لتري بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"(١).

ومعلوم أن الاستعارة تقوم على تناسي التشبيه، والتوغل في الخيال، وتجد فيها تشخيصًا وتجسيمًا، وبقدر توفيق الشاعر في ذلك يكون وقعها في النفوس.

فالشاعر هنا متلهف ينتظر الإجابة، وهو يوهم نفسه أنه في الحوار مع ديار المحبوبة، وهو من "الخيال" الذي يمثل جانباً مهما من جمال النص، وتأمل قوله: "وقفت" وهو هنا يتبع منهج الشعراء المعتاد في "الوقوف" على الأطلال إجلالاً وإكباراً لها، فاختار لفظ "وقفت" دون "جلست" مثلاً.

وشبه الجملة "فيها" يوحي بتجسيد الموقف، فهو لم يكتف بمشاهدة الديار، ومجرد المرور عليها، وإنما وقف "فيها" وهو يدل على الظرفية المكانية، ومدى تعلق الشاعر بهذه الديار.

"وتمثل الأطلال وثيقة نفسية تستطيع من خلالها الوقوف على نفسية الشاعر وتفكيره وحنينه، لأن النفس تصنع الأدب، وتبرز مشاعر الحب والحزن، فالشاعر الحزين قد يشير إلى الموت، والشاعر السعيد قد يشير إلى

---

(١) أسرار البلاغة ٣٢، ٣٣.

الحياة لأن الوقوف على الطلل رمز من رموز الحياة، ومرد ذلك التلازم بين الحب والحياة في نفس الإنسان" [١].

وتأمل قوله: "أسائلها"، تجد أن صيغة "أفاعل" الدالة على المشاركة، فالدار عنده شاخصة ماثلة فعالة تسمعه، وينتظر منها الإجابة، فالعاطفة الجياشة واضحة في كلامه، وعنصر "الخيال" متوافر بصورة ملحوظة عنده.

والتنكير في "جواباً" لإفادة العموم والشمول، فهي لم تنطق البتة. ولفظ "أحد" مجرور لفظا مرفوع تقديرًا لأنه مبتدأ مؤخر.

ومن الممكن أن يكون المراد بقوله: "عَيَّتْ جوابًا" أي لَمْ يَتَكَلَّمْ أَهْلُهَا، فيكون في ذلك مجازٌ عقلي [٢]، من الإسناد إلي المكان، فهو يريد أن يقول: إن تلك الديار أصبحت خراباً، ليس فيها من يجيب.

والعدول في الإسناد الحقيقي إلي الإسناد المجازي صورة بديعية من صور التوسع في اللغة، حيث يخيل إليك أن الحدث وقع من غير فاعله، وتجد فيه تجسيماً وتخيلاً رائعاً، ولذا قال عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وهذا الضرب من المجاز كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان".[٣]

---

(١) المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين، أ/ زياد محمود بغدادي ص٨١.

(٢) المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بواسطة وضع. ينظر مفتاح العلوم للسكاكي ص٢١٥.

(٣) دلائل الإعجاز ص١٧٠.

"ولعل هذا يدعونا إلي التأكيد على أن الشعر الجيد ينبغي أن لا يجئ على نحو واضح غاية الوضوح، بل لابُدَّ مِنْ أَنْ تَظَلَّ له إيحاءاته التي تشفُّ عن مكنونات نفس الشاعر للقارئ غير المتعجل".(١)

والعدول عن التعبير بالحقيقة إلي المجاز يحقق جانبا من هذه الجوانب التي ينبغي تحققها في الأعمال الأدبية، فالشاعر يسوق للسامع جانبا من المعني المراد، ويبقي جانب آخر ينبغي أن يكتشفه المتلقي، وهذا هو التفاعل بين القائل والمتلقي، مما يجعل للعمل الأدبي إثارة وتشوقا.

---

٣ إِلاَّ الْأَوَارِيَّ لأْيــاً مَــا أُبَيِّنُهَــا وَالنَّؤْيَ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ

الأواري: جمع آري، وهي الأخية التي تشد بها الدابة، فالأواري هي التي تحبس فيها الدواب كالخيل.

لأيا: اللأى بمعني الشدة والجهد، ومن معانيها أيضاً البطء، والمعني: بعد جهد ومشقة وسعي وبطء عرفت تلك الديار.

و"النؤى": حفرة تجعل حول البيت لئلا يصل إليه الماء.

و"المظلومة": الأرض التى حفر فيها حوض لم تستحق ذلك، فأصل الظلم: وضع الشئ فى غير موضعه، والمراد هنا الأرض التى حفر فيها في غير موضع الحفر.

و"الجلد": الأرض الغليظة الصلبة التى يصعب فيها الحفر، ولذا شبهها بالنؤى.

---

(١) قضايا ومواقف في التراث البلاغي د/ عبد الواحد علام ص ١١٨.

المعنى: لا يوجد فى ديار الأحبة إلا محبس الدابة، والنؤى، وهى الحفرة تحفر حول البيت، حتى لا يصل إليه ماء المطر.

وفى هذا البيت يصف النابغة ديار محبوبته، وتجد دقة الوصف، حتى ليخيل للسامع أن هذه الدار شاخصة ماثلة أمام عينيه، وفى هذا ما فيه من إثارة الخيال، والإيهام بالواقعية، وكأنك تشاهد هذه الأحداث ماثلة أمامك.

و"ما" فى قوله: "ما أبينها" زائدة للمبالغة فى المعنى.

وتجد التشبيه فى "والنُّؤْىُ كالحَوْضِ" وهو هنا لتقريب الصورة وزيادة الإيضاح.

شبه النؤى في استدارته بالحوض في الأرض المظلومة الجلد، أي الصلبة الغليظة التي حفر فيها، وليست صالحة للحفر لصلابتها.

وقد أبدع النابغة في هذا التشبيه حيث أتى بالطرفين معرفين ليدل على تمام الصفة ووضوحها، وأتى بالمشبه به مقيدًا، فدل القيد على خصوصية في المعنى لا يتم التشبيه إلا بها، فالحوض محفور في أرض صلبة غير مؤهلة للحفر، ولذلك فإنه يبقى دهرًا طويلاً لا يتغير.

وتأمل كلمة "المظلومة"، وما ينطوى تحتها من معان يرمز بها الشاعر إلى أنه مظلوم، لأن الكلمة تدل على الظلم والجور.

ويلحظ طغيان المقدمة الطللية، واختفاء المقدمة الغزلية من قصائد الاعتذار؛ وذلك لأن النابغة كان يبكى الأيام الخوالى، والذكريات التى قضاها مع أهل هذه الديار، فغيرت معالمها الأيام والليالى، وطول الدهر، فتغير حالها وخلت من ساكنيها، وهو ما أثر فى الشاعر أيما تأثير، وجعله يندفع فى وصف هذه الديار كما يحسه ويشعر به.

وقوله: "إلا الأوارى": "إلا": أداة استثناء، وهي حرف مبنى على السكون لا محل لها من الإعراب، والمستثنى هنا واجب النصب "الأوارىَّ".

إن جملة الاستثناء هنا تامة منفية، والنفي والاستثناء طريق من طرق القصر، وهو رأس هذه الطرق، والشاعر قد قصر الموجود في الرَّبع على الأوارىّ والنؤى، والاستثناء هنا منقطع على لغة أهل الحجاز فهو واجب النصب.

ويروى بالرفع على البدل من موضع "من أحد" في البيت السابق على لغة تميم، والتقدير: وما بالربع أحد إلا الأوارىّ، وذلك باعتبارها من جنس ما قبلها على الاتساع والمجاز [١].

---

٤ - رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمَسْحَاةِ فِي الثَّأَدِ

" أقاصيه: جمع أقصى، وهو ما شد منه وبعد، "لبده": ألصق التراب بعضه ببعض، "الوليدة": الخادمة الشابة، "المسحاة": أداة تجرف بها الأرض، "الثأد": البلل والندى، وهو موضع الندى. ومعنى البيت: ردت الأمة وهى الخادمة الشابة، على ما شد من ترابه، وابتعد عنه، فردته إلى مكانه، وأخذت تحفر بمجرفة من حديد تحفر فى التراب الندىّ غير اليابس" [٢].

والبيت يروى "رَدَّتْ" بالبناء للمعلوم، والفاعل الأمة، ويروى: "رُدَّتْ" بالبناء للمجهول، و"أقاصيه" نائب فاعل، بينما كان "أقاصيه" مفعولاً به عند بناء الفعل "ردت" للمعلوم.

---

(١) الدرر اللوامع على همع الهوامع جـ٣ ص١٥٩.

(٢) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣١.

والنابغة يصور لنا مشهداً واقعياً، حيث تقوم "الأمة" وهى الخادمة بمهامها فى ترميم "النؤى" وهى الحفرة التى تكون حول البيت، وتعيدها إلى ما كانت عليه قبل هطول المطر.

ويلحظ فى البيت دقة التعبير، فهو لم يقل إن الأمة هى التى حفرت الحفرة، ولكن يريد أن يقول: إن لها دورًا كأنها وضعت اللمسات الأخيرة لا غير، لأن حفر الحفرة حول البيت ليس بمقدور النساء.

وهذا من مميزات النابغة، حيث يتميز شعره بالواقعية، فهو يتأثر فى شعره بعنصرى الزمان والمكان، كما سبق ذكره.

وقد استخدم النابغة فى هذا البيت ألفاظاً معبرة من وحى البيئة، مثل "لبده" و"المسحاة" و"الثأد"، فكأنه يرسم لوحة فنية معبرة.

وكان النابغة دقيقًا في اختيار كلمة "أتىّ" دون كلمة السّيل أو النهر، فالأتىّ هو: السيل الذي لا يدرى من أين أتى، ومعنى هذا أن التنكير فيه لإرادة نوع خاص من السيل في تدميره وإهلاكه وما يصحب ذلك من خوف وفزع.

---

٥ خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسَهُ وَرَفَّعَتْهُ إِلَى السِّجْفَيْنِ فَالنَّضَدِ

سبيل: طريق، "أتىّ": السيل يأتى من بعيد، "رفعته": قدمته وبلغت به، "السجفين": سترات رقيقان يكونان فى مقدم البيت، و"النضد": هو ما نضد من متاع البيت، أى ألقى بعضه على بعض، والمراد بالأتي: النهر الصغير [١].

والمعنى: أن الأمة وهى الجارية، خلت سبيل الماء فى الأتي تحفرها، وبلغت به إلى السترين الرقيقين وإلى متاع البيت.

---

(١) ينظر شرح المعلقات العشر المذهبات للتبريزى ص٣٣٢.

والشاعر هنا يصور لنا المشهد كأنه ماثل أمام أعيننا، فالأمة تسوق الماء إلى الحفرة، حتى لا يؤثر على متاع البيت، فنزل الماء إلي تلك الحفرة الموجودة حول البيت فصار كأنه نهر صغير من كثر الماء.

وقوله: " كان يحبسه"، اسم كان ضمير مستتر، والخبر جملة "يحبسه"، وجملة: "ورَفَّعَتْهُ" معطوفة على الفعل "خَلَّتْ".

وفاعل: "خلت" ضمير يعود على الأمة، و"سبيل": مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، و"أتيّ" مضاف إليه.

---

٦ أَمْسَتْ خَلاَءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ

أخني: أفسد، والمراد،: بدلها من حال إلي حال.

لبد: نسر للقمان بن عاد، و"خلاء": لا يوجد بها أحد، وهو مصدر وقع خبرا أريد به اسم الفاعل "خالية"، ويخبر بالمصدر عند قصد المبالغة، كما هو معروف.

ويروى: "أهلها احتملوا" ويروى: "أهلها ارتحلوا"، و"الخنا": الفساد، فالمعني أفسدها وغيرها وحولها من عمار إلي خراب، وقيل: "أخني عليها": أتي عليها.

يُروى: " أَمْسَتْ خلاءً " و "أَضْحَتْ خَلاءً "، والتعبير الأول فيه رمز وإشارة إلى الغروب، وهو نهاية مرحلة جميلة بذكرياتها السعيدة، يعقبها ظلام فيه عناء الفراق والرحيل؛ لذا فهو أبلغ.

والمعني: إن دار مية أصبحت خالية، وقد غادرها أهلها، وهلكت كما هلك "لبد"، وهو نسر مشهور من نسور لقمان، وكان آخر نسر مات من نسوره.

و"أضحت": فعل ناقص، وهو من أخوات كان، والمعني: دخلت في وقت الضحى، والبيت يروي: "أمست خلاءً" و"أضحت خلاء"، والمقصود أن حالها قد تغير وتبدل.

وتأمل العطف في "وأمسي أهلها احتملوا"، تجد تكرار الفعل "أمسي"، مع أنه كان يجوز العطف بدونه، والتكرار صورة من صور التوكيد، فالمقصود بكل ذلك هو المبالغة.

وتجد قوله: "أخني": بمعني قضي عليها وأفناها، وقد عدل عن الموت والفناء بهذا اللفظ، وجاء باسم الموصول "الذي أخني" تعظيماً لأمر الموت، وتهويلاً له.

فالتعبير باسم الموصول لتذهب النفس فيه كل مذهب، وفي هذا ما فيه من تفخيم وتهويل لأمر الموت والفناء.

والمراد بقوله: " الذي أخنى على لُبد " هو الدهر، فهذا التعبير كناية عن موصوف هو الدهر.

وإسناد الفعل إلى الدهر مجازٌ عقلي علاقته الزمانية للمبالغة في حدوث الفعل، ومعلوم أن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل.

والتعبير بالموصول لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو تأكيد خلوّ الدار وفنائها، ورحيل أهلها عنها، وأن الفاعل من وجهة نظره واحد وهو الدهر.

وواضح أن الموت لا يصيب الدار لأنها غير عاقل، فالمقصود هو النوائب والمصائب التي أصابت الدار، فتركتها خالية، وأثرت في معالمها.

وفي البيت تشبيه، حيث شَبَّهَ مَا حَدَثَ للدَّارِ مِنْ فَنَاءٍ وخَرَابٍ وهجرةِ الأهل والأحباب، بما حدث لنسر لقمان "لبد" من موت وفناء، وسر جماله التجسيم، وذلك لأن الدار قد أصبحت فناء وخلاء، فلم تعد صالحة للإقامة.

وقد تضمن البيت إشارة إلي أسطورة "لبد"، وفنائه وموته، مما يوحي بجبروت الزمان، وصدق أبو البقاء الرندي: (١)

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا
وصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ ومِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وسْنَانُ

نعم: "إن الطلل يمثل مختلف المشاعر التي يعيشها الإنسان كالحب والحزن والألم والحسرة والاستقرار والرحيل، ومشاعر الإنسان وهموم الجماعة، والتجربة الفردية، وتراث القبيلة، وأن المقدمة الطللية مجال واسع يستطيع المفسر أن يفسرها التفسير الذي يراه مناسبًا لرؤيته الخاصة، لأنها أخصب تجارب الإنسان العربي الجاهلي، وأقربها إلى نفسه وعقله وقلبه" (٢).

(١) ينظر نونية أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس، دراسة بلاغية تحليلية، محمد محمد الطاهر ص١٠.

(٢) ينظر المطر في الشعر الجاهلي، أ/ أبو سويلم أنور، ص١٠٥.

المبحث الثاني

وصف الرحلة

٧ - فَعَدِّ عَمَّا تَرَي إِذْلاَ أُرتِجَاعَ لَهُ وَارْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيرَانَةٍ أُجُدِ
٨ - مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد
٩ - كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ
١٠ - مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرَدِ
١١ - أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ
١٢ - فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلاَّبٍ فَبَأَتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ
١٣ - فَبَتَّهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمْعُ الْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْجَرَدِ
١٤ - وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ طَعْنَ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجُدِ
١٥ - شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَي فَأَنْفَذَهَا طَعْنَ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضَدِ
١٦ - كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ
١٧ - فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضاً فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صدقٍ غَيْرَ ذِي أَوَدِ
١٨ - لَمَّا رَأَي وَاشِقٌ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ وَلاَ سَبِيلَ إِلَيِّ عَقْلٍ وَلاَ قَوَدِ
١٩ - قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لاَ أَرَي طَمَعاً وَإِنَّ مَوْلاَكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِ

٧ - فَعَدِّ عَمَّا تَرَي إِذْلاَ أُرتِجَاعَ لَهُ وَارْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيرَانَةٍ أُجُدِ

في هذا المقطع من القصيدة ينتقل النابغة من الوقوف على الأطلال إلي الحديث عن رحلة السفر، ويلحظ "التجريد"، وهو أن يجرد الشاعر من نفسه شخصا آخر يخاطبه، وهذا واضح في القصيدة.

وهناك صراع نفسي بين الشاعر ونفسه، فعاطفيته تمنعه من ترك الديار، فرغم خرابها إلا أنها تحمل ذكرياته العميقة، ولكن العقل يقول له: ماذا يفيد الوقوف على طلل خال من الأحباب، خاصة أنه "لا ارتجاع له"، فهذا حث وتحضيض على السفر بذكر السبب والعلة، وهو ما فعله النابغة بالفعل، فهو قد رضخ لصوت العقل، وغلّبه هنا على العاطفة.

ويقرر د/ محمد خلف الله أن الأدب يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنفس، لأن الأدب أروع ما تنتج نفس الإنسان، لأنه وليد الشخصية الإنسانية، والمعبر الرئيسي عما تنطوي عليه النفس من شعور وإحساس إلى جانب كونه صلة بين إنسان وإنسان (١).

والشاعر هنا يبدأ بوصف الرحلة، فيقول: عَدِّ عَمَّا تَرَى مِنْ خَرَابِ الدِّيَارِ، وانْصَرِفْ لأنَّ الأحبة لن يعودوا إليها، وارفع خشب الرحل على ناقة عظيمة الفقار والخلق، فهو يحث نفسه على السفر.

وقوله: "فَعَدِّ": أي انصرف، وهو أسلوب إنشائي غرضه الحسرة والندم والحزن، فالفعل "عَدِّ" فعل أمر خرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو الحسرة.

"القتود": جمع قتد، وهي خشب الرحل، و"عيرانة": الناقة المشبهة بالعير، وهو الحمار الوحشي لصلابة خفها وشدته، و"أجد": الموثقة الخلق، فالمراد أنها قوية لعظم فقرات ظهرها.

ويلحظ أن النابغة قد استخدم جمع الكثرة على هذه الناقة القوية الخلق، العظيمة الفقرات، فهي قوية على الحمل والسير.

---

(١) الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، د/ محمد خلف الله ص ٢١.

يقول التبريزي: "فعد عما تري: أي جزه وانصرف عنه إذ لا رجوع له، والعيرانة: الناقة المشبه بالعير لصلابة خفها وشدته، والأجد: التي عظم قفارها".(١)

والعيرانة: الناقةُ المشبَّهَةُ بالعَيْر، فالناقة هنا تشبه عَيْر الوحشي سرعة وصلابة وقوة؛ لأنه من أشد الحيوانات صلابة وقوة.

و"إذ" في قوله: "إذلا ارتجاع له" تعليلية.

---

٨ - مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريف صريف القعو بالمسد

مقذوفة: مرمية، و"الدخيس": الذي دخل بعضه في بعض من كثرته، و"النحض": اللحم، وهو جمع نحضه، و"البازل": الكبير، و"صريف": الصياح، وهو في الفحول من النشاط، وفي الإناث من الإعياء والتعب.

و"القعو": ما يضم البكرة إذا كان خشبا، فإذا كان حديداً فهو خطاف، و"المسد": الحبل. (٢)

والمعني: إن الناقة المذكورة في البيت السابق سمينة قد تراكم لحمها بعضه فوق بعض لسمنها، ونابها كبير له صوت من شدة النشاط والمرح مثل صوت القعو، وهو ما تدور فيه بكرة البئر إن كان من الخشب، الموجود فوق البئر عندما يمر الحبل فيه.

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٢.

(٢) ينظر السابق ص ٣٣٢.

وفي هذا البيت يصف النابغة ناقته بتلك الصفات، ويلحظ اشتمال البيت على الألفاظ الجاهلية، التي أخذها النابغة من وحي البيئة، وكلها تصف الناقة بالقوة والنشاط.

ويروي البيت: "صريفٌ صريفُ" على البدل من المرفوع، ولكن النصب "صريفٌ صريف" أفضل.

هنا صورة صوتية تدرك بحاسة السمع، حيث شبّه صوت نابها بصريف القَعْوِ الذي تكون فيه البكرة حين يبذل بالحبل. فهذا تشبيه بالمصدر حيث جاء المشبه به مصدرًا مبينًا للنوع، وهذا أبلغ من أن يقال: صريف مثل صريف القعو؛ لما فيه من الإيجاز والتأكيد.

ويلحظ كثرة الصفات للناقة، وتقديم شبه الجملة في "له صريف"، وإعادة اللفظ "صريف"، وكل ذلك فيه ما فيه من التأكيد على فكرة قوة الناقة وشدتها ونشاطها.

---

٩ - كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

هذا البيت بدأ بأداة التشبيه "كأن" وهي تفيد التشبيه أكثر من الكاف؛ لأنها تحتوي على الكاف و"أن" المفيدة للتوكيد، والمشبه به هو الثور الوحشي، فقد شبه ناقته بالثور.

"ورأى الجمهور أن "كأن" للتشبيه مطلقًا، خلافًا للآراء الأخرى كرأي الكوفيين والزجاج والتفتازاني" (١).

---

(١) ينظر المطول ٤/٨٠.

والمعني: إن رحلي وقد انتصف النهار، صار كأنه موضوع على وحش ناظر بعينه متفرد، والغرض من ذلك بيان سرعة ناقته، وشدة جريانها، فهو يريد تشبيهها بالثور الوحشي.

ثم تأمل الجملة الاعتراضية "وقد زال النهار بنا"، تجدها تفيد التشويق لمعرفة المشبه به، لأن الجملة الاعتراضية فصلت بينه وبين المشبه، ويلحظ أن النابغة لم يرد بهذه الجملة الاعتراضية تحديد الوقت بل ذكره لما يعرف عن الناقة من التعب في منتصف النهار، فكأنه يقول: إذا كان حال ناقتي في الشدة والقوة ما ذكرت في أشد الأوقات إرهاقًا، فما بالك بها في سائر اليوم.

"والجملة المعترضة تكون بين شيئين متلازمين لإفادة الكلام تقوية وتأكيدًا وتحسينًا"[١].

فقوله: "زال النهار" أي انتصف، والجملة في محل نصب على الحال، والجملة الحالية كناية عن شدة الحرِّ، وصعوبة السير.

و"بنا": بمعني علينا، وهو من تبادل استخدام الحروف بعضها مكان بعض، ومنه قوله تعالى: " لأصلبنكم في جذوع النخل"[٢] أي عليها.

وقوله: "مستأنس وحد" أراد الثور المستأنس الناظر وحده، وهو هنا عبر عن الموصوف "الثور الوحشي" بذكر صفته، وفي هذا ما فيه من الإلماح بأن صورة الموصوف حاضرة في الذهن، الأمر الذي لا يحتاج معه إلي ذكر الموصوف مباشرة، فلا داعي هنا للتصريح به، وفي هذا ما فيه من الإيجاز وزيادة الفائدة.

---

(١) ينظر مغني اللبيب لابن هشام ص٢١.

(٢) سورة طه الآية "٧١".

فالكلام هنا مبني على الكناية وهو كناية عن موصوف بذكر صفته.

وتأمل شبه الجملة "يومَ الجليل"، ففي ذكر الواد الكثير الشجر تمهيد للصراع الذي سيدور في أدغاله، وبين أشجاره، وهذا الصراع القادم بين ناقة النابغة وغيرها.

وتأمل كلمة "مستأنس" بما تحويه من حروف الهمس، وكل ذلك يناسب الناظر بحذر، ثم تأتي كلمة "وحد" أي منفردا، وهي صفة المستأنس، فالمستأنس هو الناظر بعينه، ومنه قوله تعالى حكاية: "إني آنست ناراً"(١)، أي بَصُرَتْ.

و"الجليل": واد من أودية الطائف يقع جهة الجنوب منها، فهو موضع يكثر فيه الشجر.

يقول التبريزي: "ويروي البيت: "على مستوجس"، وهو الذي أوجس في نفسه الفزع، فهو ينظر".(٢)

---

١٠ · مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرَدِ

وجرة: فلاة، وخصها بالذكر لكثرة الوحش بها، وقوله: "موشي أكارعه": أي أبيض وفي قوائمه نقط سوداء، فالموشي: هو الذي فيه ألوان مختلفة.

" و"طاوي": أي ضامر، و"المصير": المعي، وهو جمع مصران، وكني بالمصير عن البطن، وجمعه مصران، وجمع مصران مصارين " (٣).

---

(١) سورة القصص آية "٢٩"، وينظر تفسير روح المعاني للألوسي ٥٦/١٦.

(٢) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٣.

(٣) السابق ص ٣٣٣.

وقوله: "كسيف الصيقل": يريد أنه أبيض يلمع كأنه سيف حاد، فهو يلمع. و"الفرد": منقطع فريد لا مثيل له في جودته، فهو لا نظير له.

والمعني: أن المستأنس في البيت السابق من وحش أرض "وجرة"، وهي تقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهذا المستأنس المذكور في البيت السابق صفاته أنه ضامر البطن، ويلمع كالسيف المصقول الذي لا مثيل له.

وتأمل كيف اختار النابغة "وجرة"، وهي صحراء تكثر فيها الحيوانات الضارية، وفي هذا كناية عن قوته.

ثم تأمل الصفات الجسدية التي ساقها النابغة لهذا الوحش، ورغم ما فيها من المبالغة إلا أنها وقعت في موقعها المناسب، ثم تأمل ترتيب الصفات التي ساقها النابغة، حيث بدأ بالأسفل، ثم الأعلى.

إن هذا الثور يمثل رمزًا للنابغة، الذي يصارع الأهوال تأتيه من كل جانب منفردًا، ولا يكاد يخلص مِنْ هَمٍّ حتى يهجمُ عليه هَمٌّ آخرُ، فها هو الثور يعاني من الجوع والمطر والبرد، ليس هذا فحسب بل يفاجئه صوت الصياد وكلابه، ويظل الصراع حتى ينتصر، وهو يرمز للكلاب إلى أعدائه الذين وشوا به عند النعمان.

ويلحظ استعانة النابغة بالألوان في قوله: "موشية – سيف الصيقل"، وهذا يدل على تمكن الشاعر، وحسن استخدام الألفاظ الموحية، وإثارة الحواس.

يقول التبريزي: "الموشي": الذي فيه ألوان مختلفة، وقوله: كسيف الصيقل: أي يلمع، و"الفرد" أي ليس له نظير".(١)

و"من" في قوله: "من وحش وجرة" بيانية، وما بعدها صفات للوحش المذكور، وتجد التشبيه في "كسيف الصيقل"، ووجه الشبه هو اللمعان والضياء.

---

١١ - أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرَدِ

أسرت: جاءت ليلاً، و"الجوزاء": نجم يطلع بالليل في الحر، تزجي: تسوق، و"الشمال": الريح التي تأتي من جهة الشام، جامد البرد: ما صلب منه. (٢)

والمعني: هطلت على هذا المستأنس أمطار وسحاب آتية من برج الجوزاء، والمستأنس هذا يتعرض أيضا للبرد القارس من ريح الشمال.

والنابغة هنا يتحدث عن صراع هذا الوحش مع الطبيعة، والمخاطر التي يتعرض لها ، ويلحظ أن النابغة قد اختار الألفاظ المعبرة، فاختار مثلا "الجوزاء"؛ لأن أمطارها شديدة، واختار أيضا "ريح الشمال"؛ لأن بردها قارس وشديد.

وهناك الإيجاز بالحذف في قوله: "الجوزاء" حيث المراد "برج الجوزاء"، و"الشمال" حيث المراد "ريح الشمال"، وتجد التعبير بالضمير في "عليه" قد تكرر مرتين، كما يلحظ أن النابغة يريد إثارة الحواس بذكر الريح والجو البارد.

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٣.

(٢) ينظر السابق ص ٣٣٣.

وقوله: "أسرت عليه من الجوزاء سارية" كمعني قولهم: مطرنا بنوء كذا. وتأمل الوصف للطبيعة، وإظهار قسوتها، ومدى تحمل الموصوف لهذه القسوة، وكأن النابغة يشكو حاله، وما يقاسيه من ظروف خارجة عن إرادته، من الوشاة والحاقدين، تشبه شكوى هذا الوحش، وما يعانيه من ظروف الطبيعة، والتي هي أيضا خارجة عن إرادته.

---

١٢ - فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

ارتاع: فزع، كلاب: صاحب الكلاب، و"طوع الشوامت": الشوامت أي القوائم، والمعني: بات قائماً، و"صرد" الصَّرَد: هو البرد.

ومعني البيت: إن المستأنس المذكور قد فزع من صوت الكلاب، وهي التي سلطها عليه صاحبها- الكلاب- فبات خاضعا له بسبب شدة الخوف والبرد، وكل ذلك يسر من شمت به.

والنابغة يريد أن يقول: إن الثور لم يكد ينهي صراعه مع الطبيعة القاسية، حتى باغته عدوان أشد، فصراعه الجديد مع الإنسان.

وتأمل بداية البيت حيث العطف بالفاء، ليدل على سرعة توالي الأحداث، وهو ما تدل عليه الفاء من التعقيب والفورية، ويلحظ أن الفعل "ارتاع" جاء في موضعه المناسب، حيث عبر عن حالة الثور المتمثلة في الخوف والجزع أيما تعبير.

ثم تأمل إثارة النابغة لحاسة السمع، حيث ذكر "صوت كلاَّب"، وفي هذا ما فيه من إتقان وتمكن، ودقة تصوير، وبراعة الألفاظ، وحسن استخدامها، حيث كان النابغة من قبل قد أثار حاسة البصر، وهذا يدل على مدى ما يتمتع

به الشاعر من دقة ومقدرة عالية، حيث يصور لنا الأحداث تصويراً دقيقاً كأنه يرسم لوحة فنية.

وتجد الإيجاز بالحذف في قوله: "صوت كلاب" والمراد "صوت كلاب كلاب"، والإيجاز من البلاغة بمكان، حتى قيل: البلاغة هي الإيجاز.

وتجد التبدل السريع المعبر عنه بالفاء في "فبات له" حيث دلالة الفاء على الفورية، وتأمل كلمة "الشوامت" وما يوحي به اللفظ، وكأن النابغة يصف نفسه، حيث شماتة الحاسدين والوشاة فيه، وانظر إلي شبه الجملة: "من خوف ومن برد" تجد فيه تنوعاً للخوف، فالخوف من الإنسان، والخوف من الطبيعة أيضاً، فقد تعددت ألوان الخوف وتنوعت.

والضمير في "له" عائد على الكلاَّب، ويجوز عود الضمير على الصوت، والمعني: فبات له ما يسر الشوامت من خوف ومن فرع. والفعل "بات" أتي هنا بمعني أراه.

وانظر إلي الإضافة في "طوع الشوامت" وما توحِي به من ألم وحزن للوحش، وفرح وسرور للشامت العدو، فالوحش تجمع عليه ألم الطبيعة، وألم المعاناة من الكلاَّب وكلابه، وألم شماتة الأعداء.

و"من" في "من خوف ومن برد" للتنويع.

---

١٣ فَبَتَّ هُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ صُمْعُ الْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْجَرَدِ

بتهن: فرقهن، استمر به: استمرت قوائمه به، و"الصمع": الضوامر، والواحدة صمعاء، و"الكعوب": جمع كعب، وهو المفصل من العظام، وكل

مفصل من العظام كعب عند العرب، و"الجرد": استرخاء عصب في اليد من شدة العقال، وأصل الجرد: استرخاء عصب في يد البعير من شدة العقال. (١)

والمعني: أرسل الصياد كلابه على المستأنس من جميع الجهات، فهرب الثور مستعينا بقوائمه القوية الخالية مما يضعفها، فالثور ليس بقوائمه عيب، ولا داء فيفتر جريه من ذلك.

وتتابع الأحداث، وهو ما يوحي به العطف بالفاء، فالأحداث متعاقبة متتالية، ثم تأمل الفعل "بث" بمعني فرق، وما يدل عليه من إثارة، فالصياد خبير على دراية بفنون الصيد، فلم يرسل كلابه في جهة واحدة، وإنما أرسل الكلاب في جهات شتى لمحاصرة الفريسة، وفي هذا ما فيه من دقة التعبير، وحسن استخدام الألفاظ الموحية المعبرة.

والضمير في "عليه" يعود إلي المستأنس، والجار والمجرور هنا يدل على جهة الكلاب.

وانظر إلي العطف "واستمر به"، والعطف بالواو يوحي أن الثور فرّ وهرب منذ سماعه صوت الكلاب، ولو عطف بالفاء لأفاد أن الكلاب هاجمته ففر منها، وفي هذا ما فيه من دقة العبارة، وروع البيان.

والجرد: استرخاء عصب يد البعير من شدة العقال، فهو يريد أن يقول: إن هذا المستأنس برئ من كل عيب، وكأن النابغة يرمز إلي نفسه بأنه برئ مما وجهه إليه النعمان.

---

١٤ - وَكَانَ ضُمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزِعُهُ طَعْنَ الْمعارِكِ عِنْدَ الْمُحْجَرِ النَّجُدِ

---

(١) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٤.

" ضمران اسم كلب، والضمير في "منه": يعود إلي الثور، و"المعارك": المقاتل، و"المحجر": الملجأ، و"النجد": الشجاع "[1].

والمعني: خاف الكلب "ضمران" عندما وصل إلي المكان، الذي أمره صياده بالتزامه، وخشي أن يطعنه الثور في مقتل، فيرديه قتيلا.

هذا البيت وضع الطالب والمطلوب وجها لوجه، فهي مرحلة إثبات الذات.

فالنابغة يضع السامع في موقف الحسم، فبعد أن كان الثور سريعا وقويا، لكن الكلاب المدربة سرعان ما وصلت إليه، وحاصرته، وتقدم أشرسهم وأقواهم "ضمران" لينهي المهمة.

وتأمل التصوير الدقيق، حتى لو أن رساما، أراد تصوير المشهد في لوحة فنية رائعة من خلال كلام النابغة لأسعفه ذلك.

و"طعن": مصدر، وهو مضاف، و"المعارك" مضاف إليه، وفي الكلام إيجاز، والتقدير: خاف أن يطعنه الثور طعن المقاتل، و"النجد" بمعني الشجاع، صفة للمعارك.

وفي رواية: "فهاب ضمران".

و"طعنُ": بالرفع فاعل "يوزعه" بمعني يغريه، والضمير في "منه" يعود إلي الثور، و"كان" فعل ناسخ واسمها "ضمران" مرفوع بالضمة الظاهرة، والخبر "يوزعه".

---

١٥ - شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَي فَأَنْفَذَهَا طَعْنَ الْمُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضَدِ

---

(١) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٣.

" شك: أنفذ، و"الفريصة": بضعة في موضع الكتف، و"المدري": القرن، و"المبيطر": البيطار، و"العضد": داء يصيب العضد" [١].

والمعني: الثور شك قرنه بخاصرة الكلب ضمران، فأنفذ القرن من الجهة الثانية، كما يشك البيطري حديدته في الدابة ليشفيها من مرض يدعي العضد.

وهذا البيت يوضح لنا كيف انتصر هذا الثور المعتدَى عليه، الخائف الهارب على الكلب ضمران المتمرس المدرّب الشرس.

فالثور لم يكن طالبا للصراع، ولا محبا للشر، لكنه وجد نفسه في موقف حياة أو موت، فهي معركة وجود أو فناء، فلم يستسلم للظلم، وإنما قاوم وانتصر.

وتأمل الفعل "شك"، وما يفيده التضعيف في الفعل من قوة إضافية، والكلمة وقعت موقعها تماماً، بخلاف ما لو قيل مثلا: أدخل أو أي تعبير آخر.

ثم إن عبقرية النابغة في التصوير واضحة تماماً، حيث تجد عنصر المباغتة، وكذلك صور لنا كيف استخدم الثور أسلحته المتمثلة في قرنه، ثم إنه لما استخدم هذا السلاح استخدمه في مقتل "خاصرة الكلب"، وهو نقطة ضعفه، وهنا يذكر ذكاء الثور، وتوفيقه في القضاء على الخصم.

والنابغة يوضح أن الثور لم يكن محباً لملاقاة عدوه، فحاول الهرب، لكن العدو متمثلاً في الكلب ضمران، أصر على ملاقاته، فقتله الثور دفاعاً عن نفسه.

وتجد التشبيه البليغ[١] في البيت، حيث صور الموقف تصويراً فنياً رائعاً،

(١) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٤.

فقد شبه طعن الثور للكلب بطعنة المبيطر للمريض، والمدري: قرن الثور، وأراد شك فريصة الكلب بقرنه، "لقد جاء لفظ الفعل "يشفي" يحمل السخرية من الخصم الذي اخترقه قرن الثور، وبدلاً من علاج الطبيب له باغته الموت، إضافة إلي تضمين دلالة الفعل جانبا مناقضا، وهو شفاء النفس بالانتصار الذي أحرزه الرمز".(٢)

---

١٦ - كَأَنَّهُ خَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ

هذا التشبيه بالحرف "كأن"، والتشبيه بها أقوى وأبلغ من الكاف في الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به، ولذا فهي تستعمل حيث يقوي الشبه، والضمير في "كأنه" عائد على "المدري"، وقوله، "خارجاً": حال، واسم كأن هو الضمير المتصل بها، والخبر قوله: "سفود شرب"، والمفتأد: هو المشتوى، وهو موضع الدار الذي يشوي فيه.

فالمعني: كأن قرن الثور عندما خرج من جنب الكلب، كأنه حديدة يشوي بها اللحم، نسيها جماعة اجتمعوا للشرب عند المكان الذي يشوي به اللحم.

---

(١) التشبيه البليغ: وشاع إطلاقهم التشبيه البليغ على المحذوف الوجه والأداة، ويطلق البلاغيون أيضًا على التشبيه وصف البليغ حينما يبعد البون بين المشبه والمشبه به، ويكون هذا من جنس غير الجنس الذي منه ذاك. ينظر نظرات في البيان د/ الكردي ص١٤٥.

(٢) ينظر الدرامية والصورة في شعر النابغة د/ فايز الداية مجلة الكويت العدد ٣٥٣ سنة ٢٠١٣م.

والنابغة ما زال يصور لنا الحدث، كأنه رسام ماهر، فيصور الكلب المقتول بصورة فنية رائعة، تظهر إبداع الشاعر وتمكنه، وهي صورة موحاة من البيئة.

وبدأ الشاعر بيته بـ"كأن"، وفصل بين اسمها وخبرها بقوله: "خارجا من جنب صفحته"، وهذا الفصل بين الاسم والخبر أضفي تشويقًا على البيت.

والنابغة يشفي غليل كل مظلوم مغلوب ذاق طعم الانتصار وهزم الظالم، وتأمل الضمائر الموجودة في البيت، وكذلك تأمل التشبيه المجمل، حيث ترك وجه الشبه للاختصار، وفيه أيضاً إثارة لخيال السامع، حيث يبحث عن وجه الشبه بين السيخ والقرن، هل هو اللون الأسود، أم التلطخ بالدماء، وقد يكون غير ذلك.

"وتأمل اللفظ "شَرْبَ"، أي جماعة تشرب وتلهو في بهجة لها، فارتبط منظر قرن الثور، وقد علق به ضمران يتلوي ألما، وهو يبذل حشاشته، بمنظر سيخ الشواء، وقد احترق فوق النار، بعد أن نسيه هؤلاء الذين صفت أجواؤهم، وطاب مرحهمْ. (١)

ثم تأمل قوله: "نسوه عند مفتأد"، حيث تشم البيئة الجاهلية المستمدة من الواقع، وكذلك الألفاظ مستوحاة من المعجم الجاهلي.

---

١٧ - فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضاً فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صدقٍ غَيْرَ ذِي أَوَدِ

تأمل الفعل "ظل" الدال على الاستمرار مع تجرع الألم، و"يعجم": أي يمضغ، و"الروق": القرن، و"الحالك": الشديد السواد، و"الصدق": الصلب،

(١) الدرامية والصورة في شعر النابغة د/ فايز الداية مجلة الكويت.

و"الأود": العوج. [١]

المعني ظل الكلب يعض القرن النافذ في صفحته، وهو منقبض فوق القرن الأسود المستقيم، فالكلب لما صار على قرن الثور رجع يعضه، وقد تقبض لما فيه من شدة الوجع.

والنابغة هنا ما زال يتفنن في وصف أدق التفاصيل في مشهد الحسم، حيث الأحداث متسارعة، والكلب لم يقتل بسرعة، فهو ما زال يقاوم حتى اللحظة الأخيرة.

نعم: "إن هذا المشهد الدرامي فرغ الشحنة الانفعالية بتحقيق الغلبة على رؤوس الفتنة، ولكننا نلحظ أن الملك لم يكن حاضراً فيها، وإنما أراده النابغة متابعا للصراع، وهذا ليس تجاهلاً لواقع غضب النعمان، وإنما هو فصل بين هؤلاء الأشرار والملك الذي أتته الأخبار الملفقة".[٢]

وهذا رأي من يقول بأن النابغة يرمز في هذا كله إلي قصته مع النعمان.

وتأمل الفعل المضارع "يعجم" حيث أدى الوظيفة الزمانية أداءً رائعاً، حيث جعل السامع كأنه يعيش الحدث واقعاً ماثلاً أمامه.

وتأمل الحال "منقبضا"، وهو حال للكلب، كما تلحظ في الشطر الثاني الاهتمام بصفات القرن، الذي هو السلاح الحاسم في المعركة، لذا حاز على اهتمام النابغة.

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٤.

(٢) د/ فايز الداية مجلة الكويت العدد ٣٥٣.

ثم تأمل أيضاً إثارة النابغة لحاسة السمع المتمثلة في صوت الكلب حيث يعض متألما، ثم ذكر صفات القرن بأنه صلب ومستقيم غير معوج، ولونه حالك السواد.

ولا نغفل قوله: "أعلى الروق" ودلالته في تمكن القرن من الكلب، خاصة بعد مجئ الحال "منقبضاً" عقبه، حيث أظهر ما يقاسيه الكلب المعتدي من ألم الموت والهلاك.

وتجد دقة التعبير في وقوله: "حالك اللون" فهو لم يقل: أسود، وكذلك تتابع هذه الصفات، كل ذلك فيه ما فيه من تصوير دقيق لمشهد الحسم والنهاية على الوجه الذي يشفي غليل كل مظلوم عندما يتغلب على الظالم ويقضي عليه، ويشفي غليل النابغة أيضاً، حيث معاناته من الظالمين والوشاة.

نعم: "إن الشعر العربي الجاهلي يحمل نماذج رائعة من التعبير الصادق للأحاسيس وخلجات النفوس في ظروف الحياة المختلفة السعيدة الهانئة، والبائسة القاسية، وهذه الأسباب جعلت العلماء يعتمدون على الشعر العربي مصدراً مهما من مصادر التاريخ لتلك الفترة، وهذه ميزة يكاد ينفرد بها الشعر العربي دون غيره من أشعار الأمم الأخرى".[١]

---

١٨ - لَمـاً رَأي وَاشِـقٌ إِقْعَـاصَ صَـاحِبِه وَلاَ سَـبِيلَ إِلَـي عَقْـلٍ وَلاَ قَـوَدِ

واشق: اسم من أسماء الكلب، سمي بذلك لأنه يشق اللحم، والإقعاص: القتل السريع، و"العقل": الدية، و"القود": القصاص.

---

(١) دراسات في الأدب العربي على مر العصور د/ عمر الطيب الساسي. ص ١٧.

المعنـي: عنـدما شـاهد الكلـب الثـاني "واشـق" المـوت السـريع لصـاحبه "ضمران"، وعلم أنه لن يحصل على دية ولا قصاص، حدثته نفسه، أو أوحت له أن اهرب فلا طمع لك في هذا الثور القوي، وها هو من أقوى منك لم ينج منه، ولم يتمكن من صيده.

"وفي البيت تضمين وهو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده وهو عيب عن بعض النقاد".(١)

والنابغة هنا متمكن في التصوير النفسي، كما هو متمكن في التصوير الفني، فقد استطاع تصوير ما في نفس الكلب "واشق"، ورصد صراعه النفسي مع ذاته، وتفكير الكلب في الهروب من مواجهة الثور خوفا من أن يكون مصيره نفس مصير صاحبه "ضمران".

وتأمل بداية البيت بالحرف "لما"، ووليه الفعل "رأي"، فالكلب قد شاهد ذلك عيانا، شاهد الحدث، حيث الثور قد شك قرنه بالكلب ضمران فقتله، لذا فقد استخدم النابغة لفظ "إقعاص"، وهو الموت السريع، فقد وقعت الكلمة موقعها السليم، فهذا الرعب الذي حدث لواشق، جعله يتراجع عن ملاقاة الخصم، وينجو بنفسه.

يقول التبريزي: "الإقعاص: الموت، وأصله من القعاص وهو داء يأخذ الغنم لا يتركها حتى تموت".(٢)

---

(١) ينظر موسيقي الشعر العربي أوزانه وقوافيه د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٦١.

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٤.

"فالثور يصارع الكلاب، فإذا كان الشاعر مادحًا انتصر الثور ونجا، وإذا كان راثيًا قتلته كلاب الصائد"(١).

ويقول الجاحظ: "ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحًا، وقال: كأن ناقتي بقرة من وصفها كذا أن تكون الكلاب هي المقتولة، وليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها"(٢).

---

١٩ - قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لاَ أَرَي طَمَعَاً وَإِنَّ مَوْلاَكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِ

المولي: الناصر، والمراد هنا رب الكلب.

والمعني: أي قالت للكلب نفسه، أي حدثته بأنه لا يطمع بالنجاة، وأن مولاه لم يسلم إذ قتلت كلابه، ولم يصِد الثور الذي قتلها.

وفي قوله: "قالت" تشخيص ألقي على الكلام إثارة وخيالاً، كما أنه تمهيد لما سيقال بعده، هذا بجانب التشويق المستفاد من الفعل "قال".

ثم تأمل شبه الجملة "له"، وتأمل أيضاً جملة القول المحكية: "إني لا أري طمعاً"، وبداية هذه الجملة بالتوكيد، وتأمل التجريد وهو ماثل في البيت بين واثق ونفسه، فهي تحاوره بهذا القول المؤكد، ثم تأمل الفعل المضارع المنفي "لا أري"، وإفادته التجدد والاستمرار، بمعني لا أمل ولا رجاء ولا طمع نهائيا في هذا الصيد.

---

(١) ينظر الليل في الشعر الجاهلي د/ رمضان عامر ص٥٧.

(٢) ينظر الحيوان للجاحظ ٢/٢٠.

وقوله: "طمعاً" وهو مفعول "أري" يدل على أن النفس كانت تريد الطمع والظلم والإغارة، والتنكير في "طمعا" للتقليل، أي لا أري طمعا ولو قليلاً، ولا بادرة أمل في ذلك.

وقوله: "قالت له النفس" تمثيل، أي حدثته نفسه بهذا. وكلمة "مولي" قد يكون المراد بها هنا "ضمران"، بدليل قوله: "لم يسلم ولم يصد"، ولذا فهي تنطبق على الكلب ضمران، ويلحظ التشخيص كسمة بارزة للبيت، حيث خلع النابغة صفات إنسانية كالدية والقصاص والطمع على هذا الحيوان، وكأن النابغة يريد أن يرمز إلي شخصيات معينة في خياله، ولم يرسل الألفاظ جزافا.

وبهذا يتضح أن النابغة عندما تحدث عن رحلة الصيد، وصف لنا صراع الطبيعة القاسية، وصراع الآخر، وصراع النفس، وقد استطاع النابغة أن يرسم لنا ذلك بريشة فنان متمكن كأنها لوحة مرسومة.

المبحث الثالث

مدح النعمان وذكر صفاته

٢٠ - فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعمانَ إنَّ لَهُ ... فَضْلاً عَنِ النَّاسِ فِي الأدْنَى وفِي البُعُدِ

٢١ - ولاَ أرَي فَاعِلاً في النّاسِ يُشْبِهُهُ ... ومَا أُحَاشِي مِن الأقْوَامِ مِن أحَدِ

٢٢ - إلاَّ سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الإلَهُ لَهُ ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

٢٣ - وَخَيِّسِ الْجِنَّ إنِّي قد أذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصَّفَّاحِ والعُمُدِ

٢٤ - فَمَنْ أطَاعَكَ فانْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ ... كما أطَاعَكَ وادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ

٢٥ - ومن عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ

٢٦ - إلاَّ لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنْتَ سَابِقُهُ ... سَبْقَ الجَوَادِ إذَا اسْتَوْلَي عَلَى الأمَدِ

٢٧ - أعْطَى لِفَارِهَةٍ حُلْوٌ تَوَابِعُهَا ... مِن المَوَاهِبِ لا تُعْطَى عَلَى نَكَدِ

٢٨ - الوَاهِبُ المِئَةَ المعْكَاةَ زَيَّنَهَا ... سَعْدَانُ تُوضَحُ فِي أدْبَارِهَا اللُّبَدِ

٢٩ - والأدْمُ قد خُيِّسَتْ فَتْلاً مَرَافِقَهَا ... مَشْدُودَةً بِرِحَالِ الحِيرَةِ الجُدُدِ

٣٠ - والرَّاكِضَاتِ ذُيُولَ الرَّيْطِ فَاتِقَهَا ... بَرْدُ الهَوَاجِرِ كالغِزْلانِ بِالجَرَدِ

٣١ - والخَيْلُ تَمْزَعُ غَرْبًا فِي أعِنَّتِهَ ... كالطَّيْرِ تَنْجُو مِن الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ

---

٢٠ - فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعمانَ إنَّ لَهُ ... ومَا أُحَاشِي مِن الأقْوَامِ مِن أحَدِ

" فتلك ": تلك اسم إشارة يعود الي الناقة التي يمتطيها النابغة والتي شبهها بالثور، وقد أتى باسم الإشارة للبعيد تفخيمًا لهذه الناقة العظيمة، وقد سبق أن شبهها بالعير.

ومعني البيت: هذه الناقة التي تشبه الثور القوي هي من تنقلني الي النعمان، المتفضل علي الناس قريبهم وبعيدهم .

بعد أن فرغ النابغة من وصف رحلته الي النعمان، ينتقل الي الغرض الأصلي المباشر للمعلقة، فيمدح النعمان .

وواضح أن النابغة قد أجاد بحسن التخلص من وصف الرحلة، ومشاقها ومتاعبها، الي الحديث عن الغرض الحقيقي للمعلقة وهو مدح النعمان، ففي البيت حسن التخلص، حيث جاء الانتقال سلساً عذباً مستساغاً .

وتأمل كيف أجاد النابغة في وصف النعمان بذكر أفضاله، التي هو – أي النابغة – أحوج ما يكون إليها الآن، وهذا يدل علي عبقرية الشاعر وتمكنه، وقد كان لتوفيق النابغة وإجادته أثر عظيم حيث صفح عنه النعمان، وأعاده إلى بلاط ملكه ثانيه .

" و" البعد ": قيل إنه مصدر يستوي فيه المذكر المؤنث والمفرد والمثني والجمع، وقيل: إنه جمع لـ " باعد "، كما يقال: خادم وخدم "[1].

" ومعني قوله: " وفي البعد "، كمعني القريب والبعيد، وفي رواية " البعد " وهو جمع بعيد "[1] .

---

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة بعد .

" وتبلغني ": بمعني توصلني إليه .

و" الأدني ": الأقرب و" البعد ": البعيد .

وتلحظ الاستعارة التبعية في قوله: "الأدنى" فهو أفعل تفضيل، حيث جاءت الاستعارة التبعية في هذا المشتق، حيث اشتق من الدنوّ بمعنى القرب أدنى بمعنى أقرب على طريق الاستعارة التبعية في المشتقات.

وتأمل تقديم الجار والمجرور في قوله: " له فضلا "، وهو خبر "إن" علي الاسم " فضلاً "، ويكثر توسط الخبر شبه الجملة بين إن واسمها مثل قوله تعالى: ژ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ[٢]، وقوله تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ[٣].

وتجد الطباق في قوله: " الأدني – البعد "، والطباق يوضح المعني ويؤكده[٤] .

كما توجد الاستعارة التبعية في الحرف " في " .

---

٢١ - ولاَ أرَي فَـاعِلاً في النّـاسِ يُشْـبِهُهُ وَمَـا أُحَاشِـي مِـن الأقْـوَامِ مِـن أحَـدِ

أحاش: استثني، و" لا أري ": لا أبصر ولا أشاهد، " يشبهه ": يساويه، و" الأقوام ": جمع قوم، وهم الجماعة من الناس، ولفظ " قوم " يستخدم للرجال

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٥ .

(٢) سورة النازعات آية ٢٦.

(٣) سورة ق آية ٣٧.

(٤) الطباق: هو الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين في الجملة. ينظر بغية الإيضاح ٤/٤.

خاصـة، قـال تعـالي: چ □ ى ى ې چ[1] .

وفي هذا البيت كناية عن فضل النعمان .

والمعنى: ولا أري فاعلاً يفعل الخير يشبهه .

فالنابغة هنا ينفي التشبيه، وينفي أن يقارن النعمان بأحد إلا من سيأتي بعد.

يقول التبريزي: " ولا أحاشي " أي وما أستثني، كما تقول: حاشى فلاناً، وإن شئت خفضت، إلا أن النصب أجود، لأنه قد اشتق منه الفعل، وحذف منه كما يحذف من الفعل، وقوله: " من أحد " من: زائدة "[2] .

وتأمل تقديم الجار والمجرور في قوله: " في الناس يشبهه " تجده يفيد التخصيص والتوكيد .

وقوله: " وما أحاشي من الأقوام من أحد " نفي جئ به لتأكيد المعني، و" من " للاستغراق في النفي، والتنكير في " أحد " للعموم والشمول .

فالنابغة يؤكد أنه لا يوجد أحد في الناس يشابه النعمان في هذا الفضل والجود، وهذا علي سبيل العموم .

وتلحظ أن الطمع في عدل النعمان يسيطر على النابغة، وهو ما بثه في تلك الأبيات.

---

(١) سور الحجرات آية ١١ .

(٢) شرح المعلقات للتبريزي ٣٣٥

وهذا الجو يكاد يسيطر على عاطفة الشاعر، فهو يشبه النعمان بنبي الله سليمان – عليه السلام – الذي أرسله الله تعالى ليصلح شأن البرية، ويمنع ارتكاب الأخطاء والآثام.

فالشاعر يدقق فى اختيار أوصاف مناسبة تلفت نظر النعمان إلى العدل، وتشعره بالمسئولية، وإن كنت أرى شططًا في وصف النعمان بنبي الله سليمان عليه السلام.

---

٢٢ - إِلاَّ سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الإِلَهُ لَهُ قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

البرية: الخلق، و" الفند " الظلم، و" سليمان ": هو النبي سليمان بن داود عليهما السلام .

معني البيت: شبه النابغة النعمان بسيدنا سليمان – عليه السلام – لعظم ملكه وجاهه.

وقوله: " إلا سليمان " في موضع نصب علي البدل من موضع " أحد "، ويجوز علي الاستثناء .

ويروي البيت: إذ قال المليك له، ويروي أيضا: فازجرها عن الفند .

وقوله: " فاحددها ": الحد: المنع والزجر، والفند: الخطأ والعيب والظلم.

يقول التبريزي: " إلا سليمان " في موضع نصب علي البدل من موضع أحد، وإن شئت علي الاستثناء "[١] .

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٥

وهناك نقد موجه للشاعر في هذا التشبيه الضمني[1]، حيث لا مقارنة بين نبي الله تعالي سيلمان – عليه السلام – وبين النعمان بن المنذر، لأن هناك فرق شاسع بين المشبه والمشبه به .

وفعل الأمر " قم " غرضه الحث والتحضيض .

وهذا البيت مرتبط بما قبله من حيث المعني والإعراب، وهذا عيب شعري يسمي التضمين [2].

---

٢٣ - وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّي قد أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصَّفَّاحِ والعُمُدِ

خيس: ذلل وأرغم، وتأتي بمعني سهل وذلل .

تذمر: بلد بالشام فيها بناء لسيدنا سلمان عليه السلام، يقال: إن الشياطين بنتها بأمره، وهي مدينة عريقة موغلة في القدم ذات شهرة تاريخية تقع قرب حلب، وهي مبينة بناء عجيبا، وسميت بذلك علي اسم " تذمر " بنت حسان، ينتهي نسبه الي سام بن نوح عليه السلام.

" الصفاح ": حجارة عراض رقاق، وهي حجارة بيضاء، و" العمد ": هو العمود الذي تبني عليه الدور والخيام والسواري .

" و" العمد ": السواري من الرخام، وهي الأساطين وواحدها أسطوانة .

وقوله: " يبنون " يقيمون البناء "[1].

---

(١) التشبيه الضمني: هو ما ليس فيه أداة تشبيه،ولم يأت علي صور من صور التشبيه التي حددها البلاغيون، وإنما يلمح معناه من ثنايا الكلام .

(٢) التضمين في الشعر: هو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده. ينظر موسيقى الشعر وقوافيه د/ محمد عبد المنعم خفاجي ص١٦١.

والمعني: أن الله تعالي قد أمر نبيه سليمان – عليه السلام – بأن يذلل الجن، وأشار سليمان – عليه السلام – بأن تقوم الجن بتنفيذ أمره بإقامة وبناء مدينة " تدمر " وهي بلد بالشام، أقيمت وشيدت بالحجارة العريضة، وأعمدة الرخام .

وقوله: " الجن ..... يبنون تدمر "، حيث التشخيص، وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة مع ما في ذلك من التفخيم والتهويل.

وهذا البيت معطوف على البيت السابق، ومتمم لمعناه، وهما في إظهار ملك سليمان – عليه السلام – وقوته.

وتأمل التوكيد في قوله: " إني قد أذنت لهم " فقد أكد الكلام بأكثر من مؤكد، من ذلك

" إن "، وحرف التحقيق " قد" الذي يفيد توكيد المعنى وتثبيته.

---

٢٤ - فَمَنْ أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ كما أَطَاعَكَ وادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ

أطاعك: استمع إليك ونفذ أوامرك .

فانفعه بطاعته: جازه بطاعته خيراً .

أدلله: دله علي الخير،" والرشد " الهدي والخير .

قوله: " فمن أطاعك ": أسلوب شرط للتوكيد، و" من ": اسم شرط للعاقل، تربط بين فعل الشرط وجوابه بذات واحدة عاقلة، كما هو الحال هنا، واسم الشرط هنا مبني علي السكون في محل رفع مبتدأ مقدم وجوباً، لأن

---

(١) ينظر شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٥.

أسماء الشرط مما له صدر الجملة كما هو معروف، وتعرب " من " مبتدأ في هذا الموضع ؛ لأنه وليها فعل متعد أخذ مفعوليه .

وقوله: " فانفعه .... وادللـه " أمر قصد به المجازاة والمكافأة، وهو للالتماس .

والمعني: من أطاعك من هؤلاء، ونفذ ما أمرته به فكافئه على هذه الطاعة، وجازه وارشده .

ويلحظ التشبيه في البيت حيث شبه طاعته لهم بطاعتهم له، ووجه الشبه المطاوعة والتجاوب والاستجابة في كل، وأداة التشبيه الكاف كما هو واضح.

وورد في لسان العرب: " الرشَد والرشْد والرشاد: نقيض الغي، رشَد الإنسان بالفتح يرشُد رُشدا بالضم ، ويرشِد بالكسر يرشد رشدا ورشادا فهو راشد ورشيد، وهو نقيض الضلال إذا أصاب وجه الأمر والطريق "[1] .

وجواب الشرط قوله: " فانفعه "، والباء في " بطاعته " للسببية، أي بسبب طاعته لك، والضمير في " طاعته " يعود إلى اسم الشرط "من"، وقوله: "وادللـه" معطوف علي " فانفعه ".

---

٢٥ - ومن عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ

عصاك: خالفك إلى غير ما أمرت، وقوله: " ومن عصاك " أسلوب شرط للتوكيد، و"معاقبة": مفعول مطلق منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو هنا مبين للنوع.

---

(١) لسان العرب مادة " رشد "

و"الظلوم ": الظالم، و" والضمد ": الحقد، وشدة الغيظ .

يقول ابن منظور: " ضمد أي اغتاظ، يقال: ضمد يضمد ضمداً بالتحريك إذا اشتد غيظه وغضبه، وفرّق قوم بين الضمد والغيظ، فقالوا: الضمد: أن يغتاظ علي من يقدر عليه،و" الغيظ ": أن يغتاظ علي من يقدر عليه ومن لا يقدر عليه، يقال: ضمد عليه: إذا غضب عليه، وقيل: الضمد: شدة الغيظ[١] .

وجملة " تنهي الظلوم ....." صفة لقوله: " معاقبة " ؛ ولذا فإن " معاقبة " مفعول مطلق مبين للنوع .

والمعني: " من عصي أمرك فعاقبه معاقبة عظيمة وعنيفة، ترد الظالم عن ظلمه،ولا تركن الي الذل والغيظ والغضب .

---

٢٦ - إِلاَّ لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبْقَ الجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ

المعني: لا تقعد علي الغيظ والغضب إلا لمن كان مثلك في حالك، أو من كان فضلك وزيادتك عنه كفضل الجواد السابق الذي بلغ الغاية علي الجواد الذي يليه، فأما من سوي ذلك فليسوا أهلاً لأن تحقد عليهم فأنت أرفع منهم .

و" الجواد ": الفرس، و" استولي: غلب، و" الأمد ": الغاية .

والبيت فيه تشبيه لسبق النعمان علي غيره كسبق الجواد علي بقية الأجياد، وهذا البيت مرتبط بما قبله إعرابيا، وهو عيب شعري .

" وقوله: أو من أنت سابقه: أي لمثلك في حالك، أو لمن فضلك عليه كفضل السابق علي المصلي، أي ليس بينك وبينه في الفضل والشرف إلا اليسير.

---

(١) لسان العرب مادة " ضمد "

و" استولي عليه ": إذا غلب عليه، " والأمد ": الغاية[١] .

" و" إذا ": اسم يدل علي زمان مستقبل، ولم تستعمل إلا مضافة الي جملة، وهي ظرف" [٢].

وفي القاموس المحيط: " إذا: تكون للمفاجأة، فتختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج لجواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال، وقال الأخفش: هي حرف، وقال المبرد: ظرف مكان، وقال الزجاج: ظرف زمان تدل على زمان مستقبل، وتجئ للماضي وللحال، وناصبها شرطها أو ما في جوابها من فعل أو شبهه"[٣].

والأمد: هو الغاية، يقول ابن منظور: "الأمد: الغاية والمدى يقال: ما أمدك؟ أي منتهي عمرك، وفي التنزيل العزيز: " ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم "[٤]، قال: شمر: الأمد: منتهي الأمل"[٥].

والضمير " أنت هو توكيد للضمير المتصل في " لمثلك " ؛ لأنه يجوز توكيد الضمير المتصل بضمير منفصل، فيؤكد بالضمير المنفصل المرفوع " أنت " الضمير المتصل سواء كان مرفوعا أو منصوبا أو مجروراً .

يقول العلامة ابن مالك:

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٥

(٢) ينظر النحو الوافي أ/ عباس حسن ظرفا الزمان والمكان.

(٣) ينظر القاموس المحيط للفيروزبادي، مادة "إذا "

(٤) سورة الحديد آية ١٦.

(٥) لسان العرب لابن منظور مادة " أمد "

ومضمر الرفع الذي قد انفصل أكد به كل ضمير اتصل[١]

---

٢٧ - أَعْطَى لِفَارِهَةٍ حُلْوُ تَوَابِعُهَا مِن المَوَاهِبِ لا تُعْطَى عَلَى نَكَدِ

الفارهة: الناقة الكريمة والمطية الحسنة، فالمراد بفارهة: الناقة النشيطة القوية.

توابعها: ما يتبعها من الهبات، و" النكد ": الضيق والعسر .

قال التبريزي: " أي لا أري فاعلاً في الناس يشبهه أعطي لفارهة، ويروى: " علي حسد "، ويروى: " حلو توابعها " بالرفع علي الابتداء والخبر، والمبتدأ والخبر في موضع جر"[٢] لأنه صفة لفارهة .

وفي لسان العرب: " النكد: الشؤم واللؤم، وهو أيضا بمعني قلة العطاء، وأن لا يهنأه من يعطاه، ونكد ينكد نكداً: لم يعطه منه إلا أقله، ونكده حاجته: منعه إياها "[٣]

و "تعطي": فعل مضارع مبني للمجهول، والجار والمجرور" علي نكد " متعلق بالفعل تعطي .

وتأمل قوله: " فارهة حلو توابعها " تجد فيه ما فيه من تفخيم لشأن العطية والهبات، فالمعطي ناقة كريمة حسنة، متبوعة بهبات حلوة جميلة .

---

٢٨ - الوَاهِبُ المِئَةَ المِعْكَاةَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضَحُ فِي أَدْبَارِهَا اللُّبَدِ

---

(١) ألفية ابن مالك باب التوكيد

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٥

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة " نكد "

تأمل أسلوب القصر في قوله: "الواهب ...." حيث التعريف بـ"أل"، وما يوحي به من اختصاص الممدوح بذلك دون غيره.

الواهب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" ، وجاء القصر هنا بتعريف المسند، فهو قصر صفة على موصوف، فالمقصور لفظ الواهب، والمقصور عليه المسند إليه المحذوف.

ومعلوم أنه عندما يكون أحد طرفي الإسناد "المبتدأ والخبر" معرفًا بأل التي هي للجنس، فإن هذا التعريف يدل على القصر، إذ هو طريق من طرقه عند البلاغيين، والمقصور في هذا الطريق هو المعرف بأل الجنسية سواء تقدم أو تأخر، والمقصور عليه هو الآخر.

الواهب: المعطي المانح، ولفظ "المئة" من الألفاظ التي تزاد فيها الألف عند كثير من العلماء تمييزاً لها عن "فئة"، وذلك قبل تنقيط الكلمات، وقال بعضهم: لما زالت العلة بتنقيط الكلمات جاز حذف الألف من مائة.

" وزيدت الألف في "مائة" لكي لا تلتبس كتابتها بـ"منه"، وذلك عندما كانت الكتابة بدون تنقيط، ثم استمرت كتابتها مع زوال العلة، وهناك من يرى أنها تكتب بدون ألف لزوال الداعي لكتابة الألف، لكنه رأى لم يجد القبول كثيرًا"(١).

و"المعكاة": الإبل السمينة الممتلئة، و"سعدان" نبات تسمن عليه الإبل، وتغزر ألبانها، ويطيب لحمها، و"توضح" اسم موضع، ومن روي البيت "يوضح" بالياء؛ فإنه يذهب إلي أن معناه يبين، وهو فعل. و"اللبد": ما تلبد من الوبر، والواحدة: لبدة، ويروى في الأوبار ذي اللبد.

---

(١) التحرير العربي قواعده وتطبيقاته د/ مبروك الشايع ص٣٠.

قال التبريزي: ويروي: "المائة الجرجور"، والجرجور: الضخام ويكون للواحد والجمع علي لفظ واحد".[١]

و"الواهب": خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو"، يعود الي النعمان.

---

٢٩ - والأُدْمُ قد خُيِّسَتْ فَتْلاً مَرَافِقَهَا مَشْدُودَةً بِرِحَالِ الحِيرَةِ الجُدُدِ

الأدم: البيض من النوق، و" الفتل ": تباعد الذراعين عن جنبي البعير، والرحال: جمع رحل، وهو ما يوضع علي ظهر البعير لركوب الناس .

و" خيست ": ذللت، و" الحيرة " بلد في العراق بجوار الكوفة، و" الجدد ": أي المكان الجديدة، ويقال جُدُد وجُدَد، والضم أجود لأنه الأصل، ولئلا يشكل بجمع جدة، ومن قال " جدد " في جمع جدد، أبدل من الضم فتح لخفة الفتحة[٢]".

وهنا يواصل النابغة حديثه في مدحه للنعمان ، وكثرة عطاياه، وكرمه فيقول من ذلك إن النوق البيضاء القوية المطيعة، مهيأة لركوب المسافر عليها .

و " قد ": حرف تحقيق و" مشدودة " حال من " الأدم " .

---

٣٠ والرَّاكِضَاتِ ذُيُولَ الرَّيْطِ فَاتِقَهَا بَرْدُ الهَوَاجِرِ كَالغِزْلانِ بِالجَرَدِ

و" الراكضات ": معطوف علي " الأدم " منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، ويُروى البيت " والساحبات "، وعني بها الجواري، و"الريط ": الملاءة إذا

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٧

(٢) السابق ٣٣٧

كانت قطعة واحدة، و" فاتقها ": نعم عيشها، أي طاب عيشها، أي هي لا تسير في شدة الحر، ويروي " أنقها ": أي أعطاها ما يعجزها، و" الهواجر ": جمع هاجرة، وهي الحر الشديد، و" الجرد ": الموضع الذي لا ينبت فيه شئ .

ومعني البيت: يريد الجواري اللواتي يرفلن بأزيا لهن نعمة وتبخترا حيث حياتهن رغدة ناعمة، وعيشة هنية، وأنهن لا يتعرضن للحر، فهن في أمان من حر الشمس إذا تأذي غيرهن بحر الهواجر .

وهناك التشبيه في قوله: " الراكضات كالغزلان "، حيث يشبه النساء في مشيتهن وزينتهن وهيئتهن بالغزلان، وهو تشبيه من وحي الطبيعة، فيه ما فيه من الجمال، خاصة بعد مراعاة ما تلي المشبه، حيث فصل بينه وبين المشبه به بألفاظ أضفت علي المعني جمالاً ، وزادته بهاءً ورونقًا .

والجرد: هو المكان غير الصالح للزراعة، ولا ينبت فيه شئ، يقول ابن منظور:

" الجرد من الأرض: ما لا ينبت، والجمع: الأجارد، والجرد: فضاء لا ينبت فيه، وهذا الاسم للفضاء، ومكان جرد وأجرد وجرد: لانبات فيه "[1] .

---

٣١ - والخَيْلُ تَمْزَعُ غَرْبًا فِي أَعِنَّتِهَ كالطَّيْرِ تَنْجُو مِن الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ

تمزع: تمر مرًا سريعًا، ويروى: " تنزع وتمزع، والمزع: شدة السير، يقول ابن منظور: " مزع البعير في عدوه يمزع مزعا: أسرع في عدوه "[2] .

و " غربا " أي حدة، ويروي " رهوا "، والرهو الساكن .

---

(١) لسان العرب مادة جرد

(٢) السابق مادة مزع

وقولـه: " والخيل ": معطوف علـي الراكضات، منصوب بالفتحـة الظـاهرة ومعني البيت: ويهب – أي النعمـان بن المنـذر – الجيـاد التـي هـي فـي سرعة الطير حين هروبها من السحاب ذي البرد، فهي متضاعفة الطيران لتنجو منه.

" والشؤبوب ": السحاب العظيم القطر، والواحدة: شؤبوبة، وقيل: لا يقال لها شؤبوبة حتي يكون فيها برد "[(١)]

و " البرد ": شدة الرطوبة، وهو ضد الحر، وقوله: " تنجو ": النجاة: هي الخلاص من الشئ، والمعني تسرع في السير لتنجو من السحاب المطير البارد .

وجملة: " تمزع " و" وتنجو " في محل نصب حالان الأولـي حال للخيل، والثانية للطير.

وتأمل التشبيه في قوله: " والخيل كالطير "، ومـا يحويـه من جمـال فنـي بارع، كأن الشاعر يرسم لوحـة فنيـة رائعـة، بمـا حواه هذا التشبيه من تفصيل وتوضيح للمشهد كأنه ماثل أمام السامع .

كما تلحظ أيضا الألفاظ المستوحاة من البيئة الجاهليـة التـي يعيش فيهـا النابغة مثل "الشؤبوب، البرد، تمزع "، وكل ذلك يدل علـي مدي تـأثر الشـاعر بالبيئـة .

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٧

المبحث الرابع

رجاء النعمان

٣٢ - احْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَــى حَمَــامٍ شِــرَاعٍ وارِدِ الثَمَــدِ
٣٣ - تَحُفُّــهُ جَانِبًــا نِيــقٌ وتُتْبِعُــهُ مِثْلَ الزُجَاجَةِ لَمْ تَكْحُلْ مِنَ الرَّمَدِ
٣٤ - قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هَـذَا الحَمَامُ لَنَـا إِلَــى حَمَامَتِنَــا ونِصْــفَهُ فَقَــدِ
٣٥ - فَحَسَّــبُوهُ فَــأَلْفَوهُ كَمَــا حَسِــبَتْ تِسْعًا وتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ ولَمْ تَزِدِ
٣٦ - فَكَمَّلَــتْ مائَــةً فِيهَــا حَمَامَتُهَــا وأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِــي ذَلِكَ العَــدَدِ

هذا هو الجزء الرابع من القصيدة، وفيه يرجو النابغة من النعمان أن يكون منصفا عادلاً في حكمه، صائبا في ذلك الحكم فيقول:

٣٢ - احْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَــى حَمَــامٍ شِــرَاعٍ وارِدِ الثَمَــدِ

" احكم كحكم: أي كن حكيما في حكمك، و" فتاه الحي ": هي زرقاء اليمامة، التي زعموا أنها كانت تري علي مسيرة أيام، وضرب بها المثل في دقة الحكم وصحته، وقوله: " نظرت ": أي أبصرت، و" شراع ": مجتمعة، و"الثمد": الماء القليل، الذي يكون في الشتاء ويجف في الصيف" (١).

والمعني كن حكيما كفتاة الحي إذ أصابت وجعلت الشئ في موضعه، وهي لم تحكم بشئ، وإنما قالت قولاً أصابت فيه، ومعناه: كن في أمري حكيما، ولا تقبل وشاية ممن سعي بي .

أي كن حكيما كفتاة الحي إذ أصابت، وجعلت الشئ في موضعه.

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٦ .

والشاعر هنا يطرق لب القصيدة، والغرض الأساسي لها، وهو الاعتذار والرجاء ويمهد برجائه للنعمان أن يحكم كما حكمت فتاة الحي التي حكت الأبيات قصتها، حيث إنها جعلت حكمها في موضعه .

وفي البيت تشبيه حيث طلب مشابهة النعمان في حكمه لفتاة الحي، فبرغم كثرة الحمام واندفاعه إلا أن حكم الفتاة كان صائبا، لذا فهو يطلب منه أن يكون مثلها دقيق الحكم عادلاً .

وفعل الأمر " احكم " مراد به الالتماس، و" إذ": ظرفية، ويمكن جعلها فجائية، و"شراع ": بمعني مجتمعة، يقول ابن منظور: " شرع الوارد يشرع شراعا وشروعا: تناول الماء بفيه، وشرعت الدواب في الماء تشرع شرعا وشروعا أي دخلت، و" الشراع ": المواضع التي ينحدر فيها الماء "[١] .

وتأمل قوله: " حمام شراع وارد الثمد " تجده قد وصف الحمام بصفات تجعل إحصاءه وعدّه أمرا عسيراً، فالحمام مجتمع علي ماء قليل، وبالتالي فهناك تزاحم لورود الماء، ومع كل ذلك استطاعت الفتاه عده وإحصاءه بدقه، ولذا فقد أجاد النعمان في ذلك أيما إجادة، فقوله: " شراع وارد " صفتان للحمام .

---

٣٣ - تَحُفُّــهُ جَانِبًــا نِيــقٌ وتُتْبِعُــهُ مِثْلَ الزُجَاجَةِ لَمْ تَكْحُلْ مِنَ الرَّمَدِ

---

(١) لسان العرب مادة " شرع "

يحفه: يكون في ناحيته، و" النيق ": أعلي الجبل، يقول ابن منظور: " النيق: أرفع موضع في الجبل، والجمع: أنياق ونيوق، وقيل النيق: الطويل من الجبال "(١).

الزجاجة: يريد عينها، حيث شبهها بالزجاجة لصفائها، وقوله: لم تكحل من الرمد: هو وجع يصيب العين ويهيجها، فهو يقول: إن هذه العين لم تمرض فتكحل من الرمد .

يقول الأصمعي: إذا كان الحمام بين جانبي نيق كان أشد لعدده ؛ لأنه يتكاتف ويكون بعضه فوق بعض، وإذا كان في موضع واسع كان أسهل لعدده، ووصف أنها قد أسرعت"(٢) .

وقوله: " جانباً ": ظرف مكان منصوب بالفتحة الظاهرة، وفي البيت تشبيه عين زرقاء اليمامة بالزجاجة في صفائها وخلوها من الأمراض .

---

٣٤ - قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفَهُ فَقَدِ

ألا: حرف تنبيه، وقوله: " فقد ": أي حسب، بمعني كاف، فالمعني: حسبي وكافيني، و" ليتما ": أسلو إنشائي، وهو للتمني، وغرضه حقيقي هنا، حيث جاء للتمني ..

---

(١) السابق مادة " نيق "

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٦

يقول التبريزي: " يروى الحمامَ، والحمامُ "، وكذلك: " نصفَه، نصفُه، فإذا نصبته تكون ما " زائدة "، وإذا رفعته تكون كافة، وتكون " ليت " مكفوفة عن العمل، ويصير بعدها مبتدأ وخبر، كما تقول إنما زيد منطلق "[١].

وفي البيت استئناف، حيث شبه كمال الاتصال في قوله: " قالت ": فكأن سائلاً سأل: ماذا فعلت فتاة الحي عندما شاهدت الحمام، فجاء قوله: " قالت " بمنزلة الإجابة عن هذا السؤال المقدر، واسم الإشارة " هذا " مراد به التكثير والتفخيم، وتأمل قولها: " إلى حمامتنا " فهي لا تريد فقدان حمامتها حتي إذا ملكت كل هذا الحمام، ولم تنس عدها، فهي تريدها وتريد الحمام ونصفه معه.

---

٣٥ . فَحَسَّبُوهُ فَأَلْفَوهُ كَمَا حَسِبَتْ تِسْعًا وتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ ولَمْ تَزِدِ

حسبوه: عدوه وأحصوه، وقوله: " فألفوه ": أي وجدوه، ويروي البيت: " كما زعمت "، وكان الحمام الذي رأته ستا وستين حمامة وعندها حمامة في بيتها، فلما عدت الحمام الذي رأته، قالت ليت الحمام لي إلى حمامتي ونصفه فتم العدد مائة، وقولها إلى حمامتنا: أي مع حمامتنا، سبعا وستين حمامة، ونصف ما رأته ثلاثا وثلاثون حمامة فيكون العدد مائة كما قالت .

وهنا الطباق[١] في قوله: " لم تنقص ولم تزد "، والطباق يوضح المعني ويؤكده، وقديما قالوا: " وبضدها تتميز الأشياء " .

---

(١) السابق ٣٣٦

ولما كان المعدود مؤنثا " حمامة "، خالف العدد في قوله: " تسعا " فجاء مذكرا، وأما قوله: " تسعون " فهي من صيغ العقود لا تتغير .

وقوله: " كما حسبت ": أي مطابقاً تماماً لما عدته .

---

٣٦ . فَكَمَّلَتْ مائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ العَدَدِ

الحسبة: من الحساب: أي العدد والإحصاء، و"حِسبة ": بالنصب لأنه حال، وقع فيه الأمر، وقوله: " فيها حمامتها ": قدم الجار والمجرور للتوكيد، ومعني البيت: أنها أسرعت في حساب الحمام .

والمراد بالحمام في كل ذلك: القطا، ومعروف أن قوله: "فيها حمامتها" مبتدأ مؤخر وخبر مقدم، واسم الإشارة "ذلك" يعود إلي العدد من الحمام.

قال الأصمعي: "الحسبة: الجهة التي يحسب منها، وهي مثل اللبسة والجلسة، فقال: أسرعت أخذاً في تلك الجهة، ويقال: ما أسرع حسبته: أي حسابه، والحسبة: المرة الواحدة"(٢).

وقوله: "فكملت" فعل ماضي والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هي" يعود إلي فتاة الحي، و"مائة" مفعول به منصوب بالفتحة، والفعل "أسرعت" معطوف على "كملت"، وتأمل عطف جملة "كملت" على ما قبلها بالفاء، وذلك للدلالة على الفورية، حيث لم تأخذ الفتاة وقتا في هذه الحسبة

---

(١) الطباق هو الجمع بين المتضادين أي معين متقابلين في الجملة . ينظر حاشية الشهاب ج١ ص ٣٣٨، وبغية الإيضاح، ج٤ ص ٤

(٢) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٧.

وتأمل قولها: "فيها حمامتنا" وما تدل عليه من دقة الحساب، وكل ذلك فيه ما فيه من مدح وثناء على هذه الفتاة وصواب حكمها، ودقة عددها.

وجملة : "فيها حمامتها" حالية .

المبحث الخامس

بداية الاعتذار

٣٧ - فَـلاَ لَعَمْـرُ الَّـذِي مَسَّـحْتَ كَعْبَتَـهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

٣٨ - وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرَ تَمْسَحُهَا رُكْبَـانُ مَكَّـةَ بَـيْنَ الْغَيْـلِ وَالسَّعَدِ

٣٩ - مَا قُلْتُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أُتِيتَ بِهِ إِذًا فَـلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَـيَّ يَـدِي

٤٠ - إِلاَّ مَقَالَـةَ أَقْـوَامٍ شَـقِيتُ بِهَـا كَانَتْ مَقَالَتَهُمْ قَرْعًا عَلَـي الكَبِـدِ

٤١ - إِذًا فَعَـاقَبَنِي رَبِّـي مُعَاقَبَـةً قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِالفَنَدِ

هذا هو الجزء الخامس من القصيدة، وهو أهم جزء فيها، حيث يقدم النابغة اعتذاره للنعمان في صورة أبيات بليغة، لإقناع النعمان ببراءته مما هو متهم به، ويظهر هنا خوف النابغة من النعمان، وطمعه بالأمان فيقول :-

٣٧ . فَـلاَ لَعَمْـرُ الَّـذِي مَسَّـحْتَ كَعْبَتَـهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَـى الأَنْصَـابِ مِـنْ جَسَـدِ

لعمر : لفظ للقسم، كعبته : هي البيت الحرام، ويقصد بها الكعبة المشرفة، مسحت: تمسحت بأركان البيت، و" هريق " : صب، و" الأنصاب " : حجارة كانت في الجاهلية يذبح عندها، " جسد " : الجسد هو الدم .

والمعني : يقسم النابغة بالله تعالي، ثم يقسم ثانية بالدماء التي كانت تصب وتذبح في الجاهلية تقربا للأوثان التي كانوا يعبدونها .

وقوله : " فلا لعمر الذي مسحت كعبته " أسلوب قسم للتوكيد، ومثله قوله :

" وما هريق علي الأنصاب من جسد "، والنابغة هنا يقسم بالله تعالي الذي يمسح بكعبته تبركًا وتعظيمًا، ويقسم أيضا بالدم المراق علي الحجارة التي كان الجاهليون يتقربون إليها ويعبدونها .

وهذا البيت وما يليه يوضح طمع النابغة في مكان آمن يلوذ إليه، مثل هذه الطيور التي تلوذ بالبيت الحرام وتأمن علي نفسها من كل أذي .

فالنابغة لم يرتكب ذنباً يستحق عليه العقاب، إلا مقالة قوم وشاة حاقدين .

وقوله : " فلا ....." الفاء للاستئناف، و"لا" زائدة،و " لعمر " لفظ للقسم، وجاء بالاسم الموصول " الذي " للتعظيم والتفخيم، وهو المستفاد من جملة الصلة، ثم كرر التعبير بالاسم الموصول في قوله : " وماهريق ....."

لنفس الغرض وهو يظهر مدي إجلال وتعظيم الجاهليين للكعبة، وأيضاً لأصنامهم وأوثانهم .

يقول ابن منظور : " الأنصاب : حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها، ويذبح لغير الله تعالي، والأنصاب : الأوثان[١] .

وقوله : " هريق "، أصل هراق : أراق، والمعني : صبه .

---

٣٨ . وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرَ تَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعَدِ

المؤمن : اسم من أسماء الله تعالي، و"العائذات " : الحديثة النتاج من الحيوانات، والمراد ما عاذ بالبيت من الطير .

---

(١) لسان العرب مادة " نصب "

وقولـه : " تمسـحها " : أي تمسـح الركبـان عليهـا ولا تهيجهـا، والمـراد يمر اليد عليها بلطف، و" ركبان " : هم الجماعة، وهو اسم جمـع، والمراد بهم أصحاب الإبل، وهم راكبوا الدواب .

و" الغيـل " : المـاء الـذي يخـرج مـن صـخرة، و" السـعد " : هـو الشـجر الكثيف الملتف .

وفي لسان العرب : " الغيل " : مكان من الغيضة فيه ماء، وقيل : كل موضع فيه ماء، و" الغيل " : هو الشجر الكثيف الملتف "[١] .

ويقـول أيضـاً :" السـعد " : نبـت لـه أصـل تحـت الأرض أسـود طيـب الريح[٢].

و"بين": ظرف مكان مبني على الفتح في محل نصب .

وبدأ البيت بأسلوب التوكيد، وهو القسم " والمؤمن ....."، وفـي قولـه : " تمسـحها ركبـان مكـة " كنايـة عـن صـفة[٣] الأمـن، وذلـك لأن هـذه الطيـر خصوصًا رزقها الله تعالى الشعور بـالأمن، فـلا تخـاف مـن الـذي يقتـرب منهـا فهذا كناية عن صفة الأمن كما سبق.

---

(١) لسان العرب مادة " غيل "

(٢) السابق مادة " سعد "

(٣) وتعد الكنايـة عـن صـفة أكثـر أنـواع الكنايـة شـيوعًا فـي كـلام البلغـاء والأدبـاء، والكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، ولها أهمية في علم البلاغة. ينظر مختصر تلخيص المفتاح ١٦٦، ونظرات في البيان د/ محمد عبد الرحمن الكردي ٢٧٢.

والشاعر هنا يقسم بالله تعالي، فيقول : والله الذي أمّن الطير بمكة، وذلك أن الركبان الذين يقصدون مكة يمسحون الطير بلطف وهوادة وبدون إيذاء لها .

والنابغة هنا وفّق في اختيار الألفاظ، حيث يفتقد الأمن، وخوفه من النعمان كبير، لذا فهو يقسم بالله تعالي " المؤمن "، الذي رزق الطير نعمة الأمن فلا يؤذيه أحد، فالنابغة يريد هذه النعمة التي يفتقدها .

---

٣٩ - مَا قُلْتُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أُتِيتَ بِهِ إِذًا فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

معني البيت : ما قلت فيك قولاً سيئاً، وشلّت يدي إذا كنت قلته، يقول : والله ما قلت شيئاً مما بلغت عني، وإذا كنت قلته شلت يدي، وهو بذلك يدعو علي نفسه .

يقول التبريزي : " يروي البيت " : ما إن أتيت بشئ أنت تكرهه " وإن هنا للتوكيد، إلا أنها تكف "ما " عن العمل، كما أن "ما " تكف إن عن العمل في قولك : إنما زيد منطلق، ومعني : فلا رفعت سوطي إلىّ " يدي " أي شلت "[(١)] .

وقوله : " مما " من للاستغراق في النفي، و"ما " اسم موصل بمعني الذي، وتأمل بناء الفعل " أتيت " للمجهول، تجد فيه ما فيه من صون اللسان عن ذكر الفاعل لاحتقاره، وهذا من أسباب وأغراض بناء الفعل للمجهول، وقد يكون الفعل مبنيا للمجهول هنا للجهل بالفاعل .

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٨

و"إذا " : تدل علي الجواب، وهو ملازم لها في كل استعمالاتها وقد وقعت هنا مهملة غير عاملة، فهي حرف جواب لا عمل له .

والكناية في قوله : " فلا رفعت سوطي الي يدي " هي كناية عن صفة، وتدل علي براءة النابغة مما اتهم به .

وذلك لأنه يدعو على نفسه إن كان قد قال شيئًا من الذي بُلِّغ للنعمان أن يصيبه شلل في يده فلا يستطيع رفعها، فقوله: "فلا رفعت سوطي إلى يدي" كناية عن هذا المرض فهو كناية عن صفة، لأن المصاب بهذا المرض لا يستطيع رفع يده.

---

٤٠ - إلا مقالة أقوام شقيت بها كانت مقالتهم قرعا علي الكبد

والمعني : ما قلت شيئا إلا أنهم افتروا وكذبوا، فشقيت بمقالتهم ووشايتهم وكذبهم، فكأنما قرعت كبدي لذلك .

و" إلا " : أداة استثناء مبني علي السكون لا محل لها من الإعراب،والمستثني " مقالة " منصوب وجوباً، لأن جملة الاستثناء تامة مثبته، وهو من مواضع وجوب نصب المستثني .

و"القرع": هي المصيبة والهلاك، وهو هنا خبر كان، منصوب بالفتحة الظاهرة.

والكلام مبني علي التشبيه، فشبه تأثير كلامهم عليه بأنه كالمرض، أصاب جزءًا حساسًا من الجسد وهو الكبد، ووجه الشبه هو شدة الفاجعة والتألم .

وقوله : " أقوام " : جمع " قوم " و" قوم " : هم الجماعة من الرجال وتأمل كيف اختار النابغة هذا العضو الحساس " الكبد "، الذي إن أصابه أذي هلك جسم الإنسان بسببه، وهو هنا يصور تأثير الوشاة عليه، وفجيعته بسببها .

---

٤١ - إذا فعاقبني ربي معاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالفند

العقوبة : هي الجزاء عن السيئة، و" معاقبة " مفعول مطلق مبين للنوع .

و " قرت " : استراحت، و" الفند " : الكذب وقيل الحسد .

والمعني : إن كان الأمر كذلك، علي ما بلغك به الوشاة عني، فالله يعاقبني عقابا صارما، تقر به عين الحاسدين والوشاة الذين جاءوا بهذا الخبر الكاذب .

و"إذا": حرف جواب، وهي هنا مهلة؛ لأنها لم تدخل علي الفعل المضارع.

وتأمل المفعول المطلق المبين للنوع "معاقبة قرت ..."، وما يفيده من أن النابغة واثق من براءته؛ لأنه لا يدعو على نفسه بهذا الدعاء إلا الواثق الصادق.

وقدم الجار والمجرور في " بها عين " للتوكيد، وأيضا تلمس فيها التجسيم والتشخيص .

والنابغة هنا يدعو علي نفسه مرة ثانية، فبعد أن دعا علي نفسه بالشلل هناك، يؤكد لنا براءته من هذه التهم، فيدعو علي نفسه ثانيه بعقوبة أشد تأتيه من الله تعالى .

والتعبير بالمضارع في " يأتيك " إما لاستدعاء الصورة، وإما للدلالة علي أن الوشاة مازالوا يبلغون النعمان الأخبار الكاذبة عن النابغة .

و"الفند": هو الكذب، وفي لسان العرب: "الفند: الخطأ في الرأي والقول، وأفنده: خطأ رأيه".[١]

(١) لسان العرب مادة " فند "

المبحث السادس

شعور النابغة بالخوف من بطش النعمان

٤٢ - أُنْبِئْتُ أنَّ أبَا قَابُوسَ أوْعَدَنِي ... وَلاَ قِرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

٤٣ - مَهْلاً فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

٤٤ - لاَ تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لاَ كِفَاءَ لَهُ ... وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بالرَّفَدِ

٤٥ - فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ لَهُ ... تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ

٤٦ - يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ... فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ

٤٧ - يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلاَّحُ مُعْتَصِمًا ... بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ والنَّجَدِ

٤٨ - يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ... وَلاَ يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

٤٩ - هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَنًا ... فَلَمْ أُعَرِّضْ أُبِيتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ

٥٠ - هَا إِنّ ذِي عِذْرَةٌ إِلاّ تَكُنْ نَفَعَتْ ... فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ

في هذه الأبيات يختتم النابغة قصيدته بإظهار شعوره بالخوف من معاقبة النعمان له، وقد أجاد بإلباس النعمان صفات جليلة، فقال:-

٤٢ - أُنْبِئْتُ أنَّ أبَا قَابُوسَ أوْعَدَنِي ... وَلاَ قِرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

أنبئت: أي علمت وخبرت، "أبا قابوس": النعمان بن المنذر، و"أوعدني": هددني وتوعدني، وهو لفظ يقال في الشر، و"قرار": استقرار، و"زأر": أي زئير الأسد وهو صوته.

والمعني: إنه أُخبر بأن النعمان يتوعده، وهو يمثل النعمان بالأسد، وتهديده بزئيره، فكيف يطيق ذلك التهديد، وكيف يقر ويسكن، فكما لا يُقام في مكان يسمع فيه زئير الأسد، كذلك لا يُقام ولا يصبر على تهديد النعمان.

ويروي: "نبئت، ويقال زأر الأسد يزأر زأراً وزئيرا". [١]

وتأمل بناء الفعل "أنبئت" للمجهول، وذلك كراهة في ذكر الفاعل للخوف عليه، وهو من أغراض بناء الفعل للمجهول، و"أن": حرف توكيد ونصب، "أبا" اسم أن منصوب وعلاقة نصبه الألف لأنه من الأسماء الستة، و"قابوس" مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف.

وقد نفى الإمام عبد القاهر أن يكون في قول النابغة: "ولا قرار على زأر من الأسد" استعارة أو تشبيه، فلا يصح أن نقول: المراد بالأسد النعمان، أو شبه النعمان بالأسد، فقال: لا يكون استعارة وإن كنت تجد من يفهم البيت قد يقول: أراد بالأسد النعمان، أو شبه النعمان بالأسد؛ لأن ذلك بيان للغرض.

والحق أن الأسد واقع على حقيقته حتى كأنه قال: ولا قرار على زأر هذا الأسد، وأشار إلى الأسد خارجًا من عرينه مهددًا موعدًا بزئيره. [٢]

وهناك الكناية في قوله: "أبا قابوس" وهو كناية عن النعمان، ويوجد التشبيه الضمني حيث شبه النعمان بالأسد، ويروي البيت "ولا قرار" و"لا فرار"، والفرار: الروغان والهروب، يقال: فر يفر فراراً: أي هرب، وفي القرآن الكريم: "يقول الإنسان يومئذ أين المفر"[٣] أي موضع الفرار.

و"لا" في قوله: "ولا قرار": هي هنا حرف يعمل للدلالة على نفي الحكم عن جنس اسمها، وتعرف بلا الاستغراقية، لأن النفي يستغرق جنس اسمها كله، و"قرار": اسم لا منصوب بالفتحة الظاهرة.

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ٣٣٩.

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٣٦ .

(٣) سورة القيامة آية ١٠ .

وتأمل كيف أجاد النابغة في وصف النعمان بالأسد، ووصف وعيده بصوت وزئير الأسد، كما أنه استخدم ألفاظا دالة على المراد بصورة واضحة مثل "أوعدني"، "قرار"، وكذلك التشبيه الضمني، والكناية، كل ذلك فيه دلالة على تمكن الشاعر من اللغة، واستخدامها وتوظيفها حسب ما يقتضيه الحال، ويتطلبه المقام.

---

٤٣ - مَهْلاً فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

" مهلا " : مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مفعول مطلق لفعل محذوف " تمهل مهلا "، ونوعه مؤكد للفعل .

و " فداءً " : مفعول لأجله، لأن الكلمة بينت سبب وقوع الفعل، ومن الممكن جعلها مفعولاً لفعل محذوف تقديره : أفدي فداءً .

و " المهل " : هو الرفق، وعدم الاستعجال، ويقال : فداءً إذا أعطي فداءه وأنقذه، ويقال : فداه بنفسه إذا قال له : جعلت فداءك، ويراد به الدعاء، والمراد هنا التعظيم والإكبار ؛ لأن الانسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه له .

ومعني البيت : أي كن متأنيا، وترفق في أمري، ولا تعجل فيه، ثم دعا له بأن جعل الأقوام يفدونه، وكذلك ماله الذي جمعه وبنيه .

يقول التبريزي : " أثمر ": أجمع، ويروي " فداءٌ " بالرفع، ويروي " فداءً " بالنصب علي المصدر، والمعني : الأقوام كلهم يفدونك فداء .

ويروي " فداءٍ " بالكسر، بمعني " ليفدك "، فبناه كما بني الأمر، نحو دراك، وتراك؛ لأنه بمعني أدرك واترك "[1] .

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٨

وتأمل كيف بالغ النابغة في جعل الأقوام كلهم، وماله، وولده، فداءً للنعمان، فماذا أبقي إذاً !!!، فهذا يدل علي مدي تعظيمه وإجلال قدره، وحب النابغة له .

---

٤٤ - لاَ تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لاَ كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بالرَّفَدِ

قوله : " لا تقذفني " : لا الناهية، والفعل المضارع بعدها مجزوم بها، وهو مبني علي الفتح في محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة .

والفعل المضارع " تقذفني " فيه دلالة علي الظلم، وهو من القذف بمعني الرمي بالحجارة ونحوه، وقوله : " لا كفاء له " الكفاء : المثيل والنظير، والمعني : لا نظير ولا مشابه له .

وقوله: "تأثفك الأعداء": أي صاروا حولك، يقول التبريزي " تأثفك الأعداء" احتوشوك، فصاروا منك موضع الأثافي من القدر، ومعني الرفد : أي يتعاونون عليَّ، ويسعو بي عندك"[١] .

ومعني البيت : يقول النعمان للنابغة لا ترمني بنفسك، فإنك لا مثيل لك، وإن أحاط بك أعدائي وأوغلوا صدرك ضدي .

و " الرفد " : أي يرفد بعضهم بعضا عليَّ عندك، وفي لسان العرب: الرَّفد: بالكسر العطاء والصلة، وترافدوا : أعان بعضهم بعضاً "[٢]

---

(١) السابق ص ٣٣٨

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة " رفد "

وقولـه : " إن تأنفك " : إن : أداة شرط جازمـة مبنـي علـي السكون لا محل له من الإعراب، وفعل الشرط " تأنفك "، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: "لا تقذفني".

وانظر إلـي قولـه : "ركن"، وهو لفظ يدل علـي مكان مهمل مستوحش، وزاد علـي ذلك فوصفه بقولـه : " لا كفاء لـه "، بمعنـي لا نظير لـه فـي سوئه وعزلته، بأن جعل عقوبة النعمان تمثل له سوءًا ووبالاً فوق طاقته، وفـي هذا ما فيه من إظهار خوفه من بطش النعمان وعقوبته .

---

٤٥ - فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ

الفرات : نهر الفرات، و"ما "نافية تعمل عمل ليس، و" الفرات " اسمها مرفوع بالضمة الظاهرة، وخبر " ما " يأتي بعد، وهو قوله " بأجود منه " .

وقولـه : " هب الرياح " بمعنـي اشتدت الرياح، وقولـه " ترمـي " : فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، و" غوارب " فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، والضمير في غواربه مضاف اليه، و" العبرين " مفعول به منصوب بالياء لأنه مثني، و" بالزبد " جار ومجرور متعلق بالفعل ترمي .

و" الغوارب " هي الأمواج العالية، يقول التبريزي : " الغوارب : ما علا من الأمواج، والواحد غارب، والعبرين : الشطان[١] .

فالمراد بالعبرين : الناحيتين، و" الزبد " : ما يعلق بالماء من رواسب .

ويوجد تشبيه ضمني في قولـه : " فما الفرات إذا هب الرياح ....." حيث شبه النعمان بالفرات، وسر جمال التشبيه هو التجسيم .

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص ٣٣٨

وفي قوله : " ترمي غواربه ....." استعارة مكنية، حيث شبه الأمواج بأشخاص ترمي الناحيتين بالزبد .

فالمقصود بالعبرين : الشطين ؛ لأن عبر النهر : شطه وجانبه .

والشاعر هنا يمدح النعمان بأنه واسع العطاء، فيقول : ليس الفرات حين تهب الرياح، وترمي أمواجه الشاطئين بالزبد، وذلك عندما يكون في أعظم ما يكون امتلاءً بأفضل من النعمان.

وتأمل كيف استطاع الشاعر أن يرسم لوحة فنية رائعة، مستخدماً ألفاظا معبرة، وكأنك تشاهد الأحداث ماثلة أو مرسومة بريشة فنان رائع، وفي هذا ما فيه من تأثير علي المتلقي والسامع .

وهناك تشبيه يبدأ من هذا البيت الخامس والأربعين حتى البيت الثامن والأربعين، حيث شبه النابغةُ النعمانَ بنهر الفرات، وقارن بين النعمان ونهر الفرات في العطاء والخير، وانتصر للنعمان وجعله أكثر سخاءً من الفرات، وهذا التشبيه ضمني يلحظ من ثنايا الكلام، وكانت المقارنة بين النعمان ونهر الفرات من عدة وجوه أهمها العطاء والخير والفيض وكذلك أيضًا خوف الناس من النهر وخوف الناس من النعمان.

---

٤٦ - يَمُـــدُّهُ كُـــلُّ وَادٍ مُتْـــرَعٍ لَجِـــبٍ فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ

يمده : يزيد فيه ويقويه ويعطيه، وقوله : " واد مترع " : المسافة بين جبلين مملوءة بالماء، والمترع : المملوء، يقال : إناء مترع : أي مملوء .

وقوله : " لجب " : اللجب : ذو الصوت، وفي لسان العرب : " اللجب " : الصوت والصياح، واللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها "[1] .

و " الركام " : الحطام المجتمع، والمعني : بعضه علي بعض بمعني المتراكم الكثيف، و" الينبوت " : شجر الخشخاش، ومفرده ينبوته، و" الخضد " : المقطوع من العيدان، والمتكسر من الشجر، فالمراد ماثني وكسر من النبت، " فالينبوت " : شجر عظام، قال ابن سيدة : هي شجرة تشبه شجر التفاح "[2] .

والمعني : يقويه ويمده كل واد مملوء له صوت من كثرة ما يتدفق فيه من الماء، وفه حطام من شجر الخشخاش الذي ألقت به السيول في الوادي، وفيه شجر مكسور، وفيه إشارة الي أن الوديان حملت الي الفرات الكثير من الأمواج الغزيرة .

والبيت كناية عما حملته الأمواج لنهر الفرات .

و " يمده " : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، والهاء ضمير مبني في محل نصب مفعول به، "و كل " : فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، وقوله : " واد " : مضاف اليه، و" مترع " : صفة لقوله "واد"، و" لجب " : صفة ثانية.

وتأمل التعبير بالفعل " يمده "، وما يفيده المضارع من التجدد والتدفق الدائم، وكذلك لفظ العموم " كل "، ووصفه للواد بأنه " مترع لجب " أي مملوء له صوت من كثرة تلاطم مياهه، ثم قوله : " فيه ركام ....."، كل ذلك فيه ما

---

(١) لسان العرب مادة " لجب "

(٢) السابق مادة "نبت "

فيه من دلالة علي ما يتميز به نهر الفرات المذكور في البيت السابق، من سعة وفوائد جمة .

و " الخضد " : ما تكسر وتراكم، وقيل : هو شجر رخو بلا شوك، و" الخضد " بالتسكين هو القطع، ونزع الشوك من الشجر و" الخضد " : ما خضد من الشجر ونحى عنه، وهو أيضا كل ما قطع من عود رطب(١) .

---

٤٧ - يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلاَّحُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْزَرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ والنَّجَدِ

يظل : فعل مضارع من أخوات كان، و" الملاح " اسم يظل مرفوع بالضمة، والخبر " معتصماً " منصوب بالفتحة الظاهرة و" من خوفه " جار ومجرور ، وفي البيت تقديم وتأخير للأهمية، لأن أصل الكلام : " يظل الملاح معتصما بالخيزرانة ..... من خوفه " .

و "الملاح" صاحب السفينة، و" معتصما " : محتميا، وقوله : بالخيزرانة: هو كل ما ثني، وهو العود في مؤخرة السفينة، و" الأين " : الإعياء والتعب، و"النجد" : العرق من الكرب .

والمقصود بالخيزرانة هو ما تسكن به السفينة، وتمنع من الحركة والاضطراب .

والمعني : يظل من خوفه الملاح معتصما، وذلك كناية عن الرهبة والخوف من نهر الفرات، وتقديم الجار والمجرور " من خوفه الملاح " للتوكيد والتخصيص .

---

(١) ينظر لسان العرب مادة "خضد "

ففي حالة هياج نهر الفرات يخشي الملاح الماهر ويخاف، فيثبت بذنب السفينة بعد التعب والعرق .

" والعين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل علي إمساك ومنع وملازمة، والمعني في ذلك كله معني واحد هو العصمة "(١)، فالمعني يلتجئ ويتمسك به .

" لقد وجه الشاعر الخطاب مباشرة الي النعمان،وساق مشهداً رمزياً لملاح وقد تقاذف موج الفرات قاربه مع الرياح العاتية وأمطارها، وغدا مصيره معلقا بين هدوء تستكين فيه الطبيعة، أو يتعاظم عنفوانها فلا تبقي علي شئ .

إننا نلاحظ عرض البيئة القريبة من النعمان نهر الفرات والملاحة وطبيعة الفصول في جانب من بلاد الرافدين والشام .وثمة أمر آخر من الدلالات المركبة، فهذا النهر العظيم يجمع الخير والعطاء في الماء شريان الحياة والخصب، مع الغضب العارم إبان العاصفة، وهذا ترميز لحالة النعمان الذي حل به الغيظ والحنق بسبب الوشاية الحاقدة، وهو موئل للخير والخصب تنشره عطاياه "(٢) .

---

٤٨ - يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ وَلاَ يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمَ دُونَ غَدِ

" يوما " : ظرف زمان منصوب بالفتحة الظاهرة، و" بأجود " : خبر " ما " في قوله :

---

(١) ينظر مقاييس اللغة، مادة " عصم "

(٢) الدرامية والصورة في شعر النابغة د/ فايز الداية – العدد ٣٥٣من مجلة الكويت ٢٠١٣ م

" فما الفرات "، ويكثر دخول الباء علي خبرها .

وتأمل أفعل التفضيل " أجود "، وما يوحي به من دلالات مهمة قصدها النابغة .

و"السبب": العطاء، و"النافلة": الزيادة، ويروي البيت: "يوما بأطيب منه".

وقوله : " ولا يحول " لا نافية، و" يحول " : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، و" عطاء " : فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، و" اليوم " : مضاف اليه، و" دون " : ظرف منصوب بالفتحة الظاهرة، و" غد " : مضاف اليه .

والمعني فما الفرات إذا تناهي سيله، بأكثر من عطاء النعمان وجوده فيما لا يجب عليه، وعطاء يومه لا يمنعه من العطاء في غده .

فالنابغة يمدح النعمان بأن عطاءه أكثر من عطاء نهر الفرات، وهو إن أعطي اليوم لم يمنعه ذلك أن يعطي في الغد .

" وأضاف الي الظرف علي السعة ؛ لأنه ليس حق الظروف أن يضاف اليها "[١] .

وهناك مقارنة عقدها النابغة بين نهر الفرات والنعمان، فنهر الفرات عطاؤه متجدد وافر " يمده كل واد ....."، والنعمان كثير العطاء، دائم الخير، لا يمنعه إعطاءه وبذله اليوم ولا يحول بينه وبين عطاء الغد فخيره دائم مستمر .

---

٤٩ - هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَنًا فَلَمْ أُعَرِّضْ أُبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ

---

(١) شرح المعلقات العشر للتبريزي ص٣٣٩

هذا : مبتدأ اسم إشارة مبني علي السكون في محل رفع، و" الثناء " : بدل من اسم الإشارة، و" إن " : شرطية، و" تسمع " : فعل الشرط مجزوم بالسكون، والضمير في " به " يعود الي الثناء، و" حسنا " : مفعول به لفعل محذوف تقديره " تسمع حسنا، وهذا الفعل المحذوف هو جواب الشرط وقد حذف لوجود الدليل عليه، ويعد من الإيجاز لدلالة السياق عليه، وهو من البلاغة بمكان .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : " فإنهم يأتون بجملة الشرطية مقترنة بإن أو لو دلالة علي الربط والتعليق بين الحالة المظنون فيها تخلف التسبب، وبين الفعل المتسبب عن تلك الحالة؛ لأن جملة الشرط تدل علي السبب، وجملة الجزاء تدل علي المسبب ويستغنون حينئذ عن ذكر الجزاء ؛ لأنه يعلم من أصل الكلام الذي عقب بجملة الشرط "[1] .

وتأمل التعبير باسم الإشارة "هذا"، وكيف بدأ به البيت وما يفيده ذلك من تعظيم المشار إليه "الثناء" ثم تأمل القصر وطريقه التعريف بـ"أل"، وكل ذلك فيه ما فيه من إكبار وإجلال، وأنهى البيت بتحية الملوك "أَبَيْتَ اللعن".

ومعنى البيت هذا ثنائي، ولست حين أمدح بالكرم أعرض بالعطاء . وقوله: " أبيت اللعن " : تحية كانوا يحيون بها الملوك، معناها أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه وتذم، و" الصفد " العطاء، " قال الأصمعي : لا يكون الصفد ابتداءً إنما يكون بمنزلة المكافأة، ويقال أصفدته إصفادا : شددته، والاسم أيضا الصفد، والجمع منه أصفاد، والمصدر من العطية الإصفاد "[2] .

وقوله : " أبيت العن " : جملة اعتراضية للتوكيد.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠٨/٢

(٢) ينظر لسان العرب مادة " صفد "

" ولـو دققنـا النظـر لوجـدنا أن الشـاعر يصـل الـي غرضـه بأسـاليب كثيرة،يقدم خلالها رأيه ورؤيته، وينتصر فيها لقيمه الخاصة "[١] .

٥٠ هَـا إنّ ذِي عِـذْرَةً إلاّ تَكُـنْ نَفَعَـتْ فَـإنَّ صَـاحِبَهَا مُشَـارِكُ النَّكَـدِ

" هـا " : حـرف تنبيـه لا محـل لـه مـن الاعـراب،و "إن " : حـرف توكيـد ونصب و" ذي " اسمها مبني في محل نصب، و"عذرة " : خبرها .

وفـي لسـان العرب : "العذر " : الحجـة التـي يتعذر بهـا، والجمـع أعذار، ويقـال: لـي فـي هـذا الأمـر عـذر : أي خـروج مـن الـذنب، و" أعـذر " : معنـي اعتذر اعتذاراً، والاسم منـه العذر "[٢] .

وهذا البيت كناية عن اعتذاره، متمنيا قبول اعتذاره من قبل النعمان .

و " ذي " بمعنـي هـذه، و" العـذرة " : الاعتـذار، فهـو يقـول إن هـذه القصيدة عذر واعتذار من النابغة للنعمان، فإذا لم يتقبلها فإن قائلها وهو النابغة ملازم الهم والنكد .

وقولـه : " نفعـت " : أصـابت موضـعها، و" صـاحبها " : هـو النابغـة، و"النكد": المشقة والعناء .

وبهذا البيت يختم النابغة قصيدته، وكان هذا البيت خلاصة القصيدة، ولـب المـراد منهـا، فهـي اعتـذار، يرجـي قبولـه، وإلا فصـاحب الاعتـذار مهمـوم مصاب بالنكد .

(١) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص د/ حسني عبد الجليل ص ١٠

(٢) لسان العرب مادة "عذر "

وبعد :-

فإن دالية النابغة الذبياني تعد نموذجا فريدا في الاعتذار والمدح، أجاد فيها الشاعر فى جميع ما اشتملت عليه القصيدة، فمثلاً من حيث:

أولا: الوجدان والعاطفة:

هى عاطفة حزينة مملوءة بالحزن والحسرة والأسى على فراق الأحبة، والبعد عن النعمان بن المنذر بسبب الوشاية التى قام بها الحاسدون، وما تبع ذلك من هروب النابغة، وخوفه من بطش النعمان، رغم حبه الشديد له، ومدحه إياه، ووصفه بأفخم الصفات، ونعته بأرقى النعوت.

والشاعر معاصر للتجربة، لذا فعاطفته قوية جياشة، وهو صادق فيها، لذا فقد أثر الشاعر في المتلقي أيما تأثير، وأجاد فيما استخدمه من ألفاظ وعبارات.

ومن ذلك قوله:

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعمانَ إنَّ لَهُ فَضْلاً عَنِ النَّاسِ فِي الأدْنَى وفِي البُعُدِ

ولاَ أرَي فَاعِلاً في النّاسِ يُشْبِهُهُ ومَا أُحَاشِي مِن الأقْوَامِ مِن أحَدِ

وقوله:

أُنْبِئْتُ أنَّ أبَا قَابُوسَ أوْعَدَنِي وَلاَ قِرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

إلى غير ذلك من تعبيرات تلمس فيها جليا الصدق الشعورى فى هذا النص، فقد حرك النابغة إحساسنا الداخلى، خاصة أن كل ما عاناه وقاساه من

ويلات وكوارث كانت بسبب وشاية حاقد وحاسد، وعدو لقى مصرعه بعد ذلك هو الينخل اليشكرى.

والنابغة استطاع أن يجذب السامع، ويجعله يعيش أحداث القصيدة بآلامها وأحزانها، وما اشتملت عليه من أحداث، وذلك بسبب صدق الشعور، والعاطفة القوية المسيطرة على الشاعر.

ثانيا: الفكرة:

تناول هذا النص العلاقة بين النابغة الذبياني والنعمان بن المنذر، فهو نص فى الاعتذار والمدح.

والنابغة قد ذكر الديار الخالية، ثم انتقل إلى وصف الناقة، وشبهها فى قوتها ونشاطها بالثور الوحشى، ثم وصف الصراع بين الثور المظلوم المعتدى عليه، وبين الكلاب المعتدية، ثم تخلص إلى الغرض الرئيس للقصيدة وهو مدح النعمان والاعتذار وتبرئة نفسه مما اتهم به.

وقد صور لنا الشاعر كل ذلك تصويرًا دقيقًا، وجعل القارئ كأنه يعايش الحدث ماثلاً أمامه.

وهذا يدل على المقدرة الشعرية العالية عند الشاعر.

ثالثاً: الصور التعبيرية:

١- الألفاظ والجمل:

- الألفاظ:

من المعروف أن اللفظة هى أداة التعبير عما يشاهده الشاعر أو الأديب، فقد استخدم النابغة ألفاظاً ذات دلالات بلاغية قوية، استطاع من خلالها تصوير المشهد والأحداث أدق تصوير.

وإذا دققنا في كل لفظة من ألفاظ هذه القصيدة، فإننا لا تستطيع حذف أي لفظة من ألفاظها، ونضع مكانها لفظة أخرى، تؤدي نفس الغرض والدلالة، وهذا يدل على براعة الشاعر، ومقدرته الشعرية القوية.

كذلك تلحظ تناسب كل لفظة مع ما قبلها وما بعدها، ويلحظ أيضاً وجود الألفاظ الجاهلية وتأثر النعمان بالبيئة تأثراً وضحاً، وقد خلت القصيدة من مخالفتها لقواعد اللغة.

وعموماً فإن ألفاظ القصيدة معبرة عن الأحداث، وتتميز بالقوة ومناسبتها للبيئة التي يعيشها النابغة.

- الجمل:-

إن هذه القصيدة تميزت بما تميز به شهر النابغة الذبياني، من حسن الديباجة، ودقة التعبير، والبعد عن التكلف، وكثرة الكنايات والتشبيهات،

والتأنق في العبارات، هذا فضلاً عن براعة الاستهلال[1]، وحسن المطلع، وحسن التخلص، والانتقال من غرض إلى غرض بكل سهولة وسلاسة ويسر.

رابعا: الصور والأخيلة:-

اعتمد النابغة الذبياني على مجموعة من الأدوات التي استعان بها في توضيح القصد، واستجلاء الغرض، وهذه الأبيات تتكاتف من أجل رسم صورة كلية لعالم الشاعر.

فالتصوير هو الأداة المفضلة للشعر، والصورة الشعرية معبرة عن الحالة النفسية للشاعر، وقد استطاع النابغة أن يؤثر في السامع أيما تأثير، وذلك بإجادته لرسم الصورة الفنية رسما دقيقاً معبراً، جعل السامع يشاركه في إحساسه وشعوره. وشعر النابغة يحمل صورة فنية تعد ثمرة عظيمة لتجارب كثيرة خاضها في حياته، وفي مجتمعه، وعلاقاته بالملوك والناس، لذلك فأنت أمام شعر يصور أحداثا كأنها ماثلة أمامك.

إن النابغة الذبياني من الشعراء الذين يكثر في شعرهم ألوانا عديدة من الصور الشعرية في قصائدهم، فنجد في القصيدة الصورة البسيطة، والسريعة، والصورة المركبة، رسم بها النابغة لوحة متكاملة، يراها المتأمل أقرب إلي تكوين القصة، ونجد التصوير الرمزي واضح في القصيدة، وقد اشتملت القصيدة بجانب الرمز على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، جاءت كلها في موضعها المناسب، مما كان له الأثر الواضح في رسم صورة معبرة دقيقة، مؤثرة في نفوس السامعين.

---

(١) براعة الاستهلال:- هي أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة. بغية الإيضاح ٤/١٣٠.

والنابغة الذبياني عندما عبر عن إحساسه ومشاعره، لم يعرضها لنا جامدة تمل منها النفس، بل تلمس فيها الحركة والحيوية، حتى كأنك حين تسمع القصيدة كأنك تشاهد لوحة فنية معبرة. فتجد فى القصيدة الاستعارة المليحة التى توضح المعنى، وتعد إحدى غايات الشاعر، وتحتاج غالبًا إلى التدبر والتبصر حتى تكشف عن فحواها.

ومعلوم أن الاستعارة تأتي فى مرحلة ما بعد التشبيه، وتحتاج إلى جهد فني في صياغتها أكثر مما يحتاج التشبيه، وقد استطاع النابغة أن يوظفها توظيفًا دقيقًا يخدم الغرض المراد.

وكذلك نجد النابغة قد استخدم الكناية، وجاءت فى موضعها المناسب، والكناية تعد مظهرًا من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا متمكن من فنون الكلام وأدوات التعبير، وسر جمالها أنها تعطى الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتسوق البرهان، وتبرز المعاني واضحة جلية.

خامسا: الموسيقى:

- البحر العروضى والقافية:

هذه القصيدة من بحر البسيط، وتفعيلاته وأوزانه هى:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

يدخل زحاف "الخبن"، وهو حذف الثانى الساكن من تفعيلة مستفعلن /٥/٥//٥ فتصير متفعلن //٥//٥ كذلك يدخل "الخبن" على تفعيلة فاعلن /٥//٥ فتصير فعلن ///٥ (١).

أما عروض هذا البحر فهو "مخبون"، فتفعيلة فاعلن /٥//٥ تصير ///٥.

أما ضربه فتدخل عليه علة القطع (٢)، وهى حذف آخر الوتد المجموع، وتسكين ما قبله على تفعيلة فاعلن /٥//٥ فتصير فاعل /٥/٥ وتحول إلى فعلن، وعليه فيكون الوزن المشهور لهذا البحر كالآتى:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وحرف الروى لهذه القصيدة هو حرف "الدال"، ولذلك تسمى القصيدة "دالية النابغة الذبياني".

ويتضح لنا الجرس الموسيقي من خلال وحدة الوزن والقافية، كذلك تنبعث الموسيقى الداخلية من خلال ما اشتملت عليه القصيدة من طباق وفنون بلاغية سبق ذكرها.

وفي الختام فإن جميع ما تقدم يصور لنا الإيقاع المعبر عن العاطفة المسيطرة على الشاعر في هذه القصيدة، وأيضًا على الفكرة التى سعى الشاعر من خلال قصيدته هذه إلى بثها إلى مسامع المتلقين.

---

(١) علم العروض والقافية د/ عبد العزيز عتيق ص٤٦ وينظر مفتاح العلوم للسكاكي ص٢٩١.

(٢) السابق ص٤٨.

الخاتمة

الحمد لله تعالى في البدء وفي الختام وفي كل وقت وحين، والصلاة والسلام على النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.

وبعد :

فإن هذه القصيدة تعد نموذجاً فريدًا، وعلامة بارزة في شعر الاعتذار، تلمس فيها المعاناة وقسوة الظروف التي أحاطت بقائلها، وتلحظ فيها تأثر الشاعر بالظروف الزمانية والمكانية المحيطة به، كما تجد في القصيدة قوة الألفاظ، وحسن الصياغة، وجودة السبك، وبلاغة الأسلوب، ووضوح الدلالة، وألفاظها معبرة، وأحداثها مصورة تصويرًا رائعًا، يجعل السامع يشارك الشاعر في وجدانه ومشاعره.

ومن أهم نتائج هذا البحث:

١- من خلال شرح وتحليل هذه القصيدة تجد ألفاظها قوية، مأخوذة من وحى البيئة الجاهلية، وقد أحسن الشاعر في استخدام الألفاظ الموحية بطريقة فنية مؤثرة، وبعد عن التكلف.

٢- والمعاني صادقة لا ادعاء فيها ولا تزييف، وإن كنت تلحظ بعض المبالغات إلا أنها وقعت موقعها المناسب في القصيدة، وأدت الغرض المراد منها، فيما عدا تشبيهه للنعمان بسيدنا سليمان – عليه السلام – وهي معاني واضحة ومترابطة فيما بينها ومصورة للأحداث تصويرًا دقيقًا.

٣- أما الصور البيانية والأخيلة، فهى قوية التعبير، ومؤثرة في النفس أيما تأثير، ومستمدة من البيئة الجاهلية، وطبيعتها القاسية، وقد راعى

فيها النابغة الدقة، بحيث تظهر روعتها المؤثرة في النفس، ومؤدية للغرض المراد منها.

٤- ومن حيث الموسيقى فقد ساعدت في إضفاء الجمال على النص، بما حواه من عبارات منسقة، أتت في إيقاع موسيقى جميل، موضحة صدق الشاعر، وقوة العاطفة، ومؤثرة بنغماتها التي تنم عن مكنون الشاعر.

٥- كما تظهر ملامح قوة الشاعر، وأصالته الشعرية واضحة في القصيدة، ومدى تفوقه في غرض الاعتذار والمدح، وتمكنه في كل ذلك.

٦- وبناء القصيدة محكم، ينتقل الشاعر من المقدمة إلى الغرض المقصود والمراد إلى الخاتمة بكل سهولة ويسر.

نعم: إن دالية النابغة الذبياني في المدح والاعتذار للنعمان بن المنذر، من أجمل وأروع قصائده الشعرية، وتبرز موهبته الشعرية، وحسن استخدامه للغة حقيقها ومجازها في طرح فكرته، وانعكاس ذلك على المتلقي.

وكان لهذه القصيدة بما اشتملت عليه من ألفاظ معبرة، وعبارات رائعة، وبلاغة راقية، كان لكل ذلك الأثر الكبير، حيث حققت الهدف المراد منها، فعفا النعمان عن النابغة، وظل للقصيدة أثرها البلاغي والأدبي واللغوي حتى يومنا هذا، وما زال لها صدى ورونقًا حتى الآن.

والله أسأل أن يكتب سبحانه لهذا البحث التوفيق والقبول والنجاح إنه سبحانه سميع الدعاء.

أهم مراجع البحث

١- أثر الصحراء في الشعر الجاهلي د/ سعيد حناوى – ط/ دار الفكر لبنان بيروت.

٢- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق سمير جابر – الطبعة الأولى – دار الفكر بيروت.

٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام – تحقيق أ/ مصطفى السقا – ط/ دار إحياء التراث العربي ١٩٦٦م.

٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – الشيخ عبد المتعال الصعيدي – ط/ دار السعادة بالقاهرة ٢٠٠٦م – رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٧٣٥١م.

٥- التحرير العربي قواعده وتطبيقاته – د/ مبروك حمود الشايع – ط/ دار الأندلس للنشر والتوزيع – حائل السعودية – الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م – رقم الإيداع ١٤٣٣/٦١٢هـ.

٦- تلخيص المفتاح لمحمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني – ط/ مصطفي الحلبي بمصر – ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٧- الحيوان لأبى عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق وشرح أ/ عبد السلام هارون – ط/ مصطفى الحلبي بمصر – الطبعة الأولى.

٨- دراسات في الأدب العربي على مر العصور د/ عمر الطيب الساسى ط/ دار الشروق جدة – الطبعة الثانية عشرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩- دراسات في الشعر الجاهلي د/ يوسف خليف – ط/ دار غريب للطباعة والنشر بالقاهرة.

١٠- الدرامية والصورة في شعر النابغة – د/ فايز الداية – مجلة الكويت العدد ٣٥٣ سنة ٢٠١٣م.

١١- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر – ط/ مكتبة الخانجى بمصر – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م رقم الإيداع ٨٤/٢١٧٩.

١٢- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الثانية – دار المعارف بالقاهرة.

١٣- شرح القصائد العشر – للإمام الخطيب أبي زكريا يحى بن علي التبريزي – تعليق أ/ السيد محمد الخضر ط/ مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

١٤- شرح المعلقات السبع – لأبى عبد الله الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني – تحقيق د/ محمد عبد القادر أحمد – ط/ مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م – رقم الإيداع ٧٥٢١ سنة ١٩٨٨م.

١٥- شرح المعلقات العشر وأخبارها – أ/ أحمد الشنقيطي – ط/ بيروت دار المعرفة ٢٠٠٣م.

١٦- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – ط/ دار إحياء التراث العربي بلبنان.

١٧- علم العروض والقافية – د/ عبد العزيز عتيق – ط/ دار النهضة بيروت.

١٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني – ط/ أمين هندية ١٩٢٥م.

١٩- الغربة في الشعر الجاهلي د/ عبد السلام خشروم – ط اتحاد الكتاب العربي – دمشق سوريا ١٩٨٢م.

٢٠- القاموس المحيط للفيروزبادي – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢١- قضايا ومواقف في التراث البلاغي – د/ عبد الواحد علام – الناشر/ مكتبة الشباب بالقاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٢- الكلمات والأشياء د/ حسن البناء – ط/ دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٨م.

٢٣- لسان العرب للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن منظور – ط/ دار صادر بيروت ١٩٩٧م.

٢٤- الليل في الشعر الجاهلي د/ رمضان عامر – ط/ مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٤٢٩٩هـ/ ٢٠٠٨م – رقم الإيداع ٢٠٠٨/٧٠٧٨م.

٢٥- المطر في الشعر الجاهلي أ/ أبو سويلم محمد أنور – ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢٦- المطول – سعد الدين التفتازاني – ط/ أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

٢٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام – تحقيق الفاخوري – ط/ دار الجيل بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٨- مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن علي السكاكي – ط/ مصطفى الحلبي بمصر – الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م – رقم الإيداع ١٩٩١/٤٧٩٥م.

٢٩- المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين أ/ زياد محمود بغدادي – ط/ عالم الكتاب الحديث – عمان – الأردن – الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٣٠- موسيقى الشعر العربي أوزانه وقوافيه – د/ محمد عبد المنعم خفاجي ط/ دار ابن زيد بيروت.

٣١- النابغة الذبياني – د/ عبد الرازق الدقاق – ط/ دار ربيع دمشق ٢٠٠٢م.

٣٢- النابغة الذبياني شاعر المدح والاعتذار – أ/ علي نجيب عطوي – ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م.

٣٣- نظرات في البيان – د/ محمد عبد الرحمن الكردي – مطبعة السعادة بمصر – ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٤- الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – د/ محمد خلف الله – ط/ معهد البحوث والدراسات العربية بمصر – الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

محتويات البحث

الموضوع
المقدمة .
التمهيد .
مناسبة القصيدة .
الأفكار الرئيسة في القصيدة .
المبحث الأول: البدء بالنسيب والوقوف على الأطلال .
المبحث الثاني: وصف الرحلة .
المبحث الثالث: مدح النعمان وذكر صفاته .
المبحث الرابع: رجاء النعمان .
المبحث الخامس: بداية الاعتذار .
المبحث السادس: شعور النابغة بالخوف من بطش النعمان.
الخاتمة .
مراجع البحث .
محتويات البحث .